السنة الخامسة والعشرون — العدد ٤ — نيسان ١٩٢٧

المشرق

الطوباوي جبرى ميكائيل

الشهيد الحبشي اللعازري (١٧٩١–١٨٥٥)

بقلم حضرة الاب يوسف علوان اللعازري

مقدمة

اليوم الثالث من شهر تشرين الاول من السنة الماضية ١٩٢٦ كان يوماً مشهوداً في عاصمة الكثلكة رومية المدينة الابدية ، وعيداً باهراً فخماً جمع حول نائب المسيح على الارض وخليفة القديس بطرس رأس الرسل ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، عدداً ليس باليسير من الكرادلة ورؤساء الاساقفة والاساقفة وجموعاً من الرهبان والراهبات والمرسلين ولاسيا من اللعازريين وراهبات المحبة مع حضرة الاب فرنسيس فردياه رئيسهم العام الاكبر الذي جاء مع بنيه وبناته ليكونوا في مقدّمة المحتفلين. ولما حانت ساعة الاحتفال والتأم الجمع المذكور ضاقت بهم كنيسة القديس بطرس البطريركيَّة الكبرى ، وكانت مزدانة بالوف والوف من الانوار الكهربائية ، لابسة ابهى حلّة من الزينة اذ جُلِّلت جدرانها بطنافس الحرير الاحمر تزيّنها سعوف النخل الخضراء. وتُنيرها اشعة الانوار الباهرة كأنها بلسان حالها تشير الى دماء سُفكت بعد جهادٍ طويل أليمٍ وانتهت بانتصار عظيم

امّا الداعي لهذه الحفلة الحافلة النادرة المثال وموضوع هذا العيد البهيج فهو بموجب حكم الكنيسة الجامعة عمود الحقّ واساسه ، إعلان فضل احد ابنائها سليل جمعية القديس منصور دي بول الابا غبرى ميكائيل الذي جاهد جهاد الابطال

واروى بدمائه ارض وطنه بلاد الحبشة الساكنة في ديجور الضلال ، بعد ان جعد اضاليل آبائه على يد معلمه وقائده المكرّم السيد يوستينوس دي ياكوبيس اللعازري رسول بلاد الحبشة واوّل نائب رسولي عليها ، فقاسى من اجل ايمانه من الاضطهادات اشدّها ، واحتمل من الآلام امدّها ، مدّة ١٣ شهراً بثبات كالصخرة الصمّاء لم يتزعزع ، وعزم كالحديد لم يلتوِ الى ان فاض بروحهِ الطاهرة بين الاعذبة المرّة حباً بالسيّد المسيح فنال اكليل الشهادة

هذا هو البطل الذي نريد الآن سَرْدَ حياته العجيبة اوّلاً افتخاراً بهِ واعجاباً ليس فقط لانهُ اخونا في الجمعية اللعازريّة المؤسسة من القديس منصور دي پول بل لانهُ ايضاً احد ابناء شرقنا العزيز. وثانياً تذكرةً لاخواننا المنفصلين عنّا في الايمان ولاسيما الحبشيين الاقباط بان لا قيام حقيقي ولا حياة للكنائس الّا باتحادها مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانيّة الراكزة على الصخرة البطرسيّة الابديّة القرار ، حسب قول السيد المسيح له المجد : انا الكرمة وانتم الاغصان . من يثبت فيَّ وانا فيه فهو يأتي بثمر كثير(يو ١٥ : ٥). فنحن نسأل الله وهو السميع المجيب باسم شهيدنا الباسل ان يزيل من اعين اخوته المنفصلين برقع الجهل والضلال لينظروا اشعة نور الحق ، ويرجعوا الى حضن امهم الكنيسة الحقيقية ، فتصير رعيةٌ واحدة وراعٍ واحد

﴿ مولدهُ وصباؤهُ ﴾

ولد الطوباوي في ديبو ، وهي قرية واقعة بالقرب من مدينة اسمها مرتولي مريم (اي خيمة مريم) ، من اقليم غودجيام ، سنة ١٧٩١ ودعي باسم غبرى ميكائيل (اي عبد ميكائيل) ومنذ صبائه ظهرت عليهِ علامات التقى والتديّن . فكان يحب الصلاة والسكينة مطيعاً لوالديه وميالاً الى الدرس والمطالعة

ولمّا شبّ تلقّن مبادئ القراءة والكتابة وتلاوة المزامير الداودية والتسابيح البيعيّة حسب عوائد تلك البلاد ففاز في كل ذلك فوزاً باهراً فاتخذوهُ مدرساً ومعلماً ومرشداً للاولاد . وكان في وقت الفراغ يذهب لرعاية القطيع الوالدي . الّا انهُ لم يلبث ان طرأ عليهِ حادث افقدهُ احدى عينيه وكان والداهُ قد فكّرا في ان يكرّساه

للرب في الحالة الاكليريكية . فجاء فكره طبق مرامه لانه كان قد عشق هذه الطريقة منذ حداثته وطالما تاق اليها الا انه لم يكن يجسر ان يكاشف والده برغبته . ومع ذلك بقي مدة على هذه الحالة يعلم الاولاد فبرع في هذا الفن حتى صار موضوع فخر لآله ولابناء وطنه

﴿ تركه للعالم ودخوله الرهبانية ﴾

ولما جاء الوقت لاتخاذ الطريقة النهائية لحياته عزم على ترك العالم وخزعبلاته واشتاق العيشة الرهبانية لممارسة الفضائل الانجيلية واكتساب العلوم الدينية . فقصد دير مرتولي مريم وطلب الانضمام الى سلك رهبانه وكان عمره اذ ذاك ١٩ سنة . قُبل في عداد المبتدئين وبقي على هذه الحال ست سنين تمرّن في اثنائها على اساليب العيشة الرهبانية وتلقن العلوم الكنسيّة التي كانت نفسه الكبيرة عطشى اليها . ولما انتهى زمن اختباره الرهباني البسه رئيس الدير القبعة البيضاء شارة الرهبان باحتفال عظيم

﴿ في اختياره العيشة النسكيّة ﴾

ولما ابرز غبري ميكائيل نذوره الرهبانيّة انفتح امامه طريقتان : اما المناصب القضائيّة العالية في محاكم مملكة الحبشة الدينيّة والمدنيّة ، واما العيشة النسكيّة . ففضّل هذه على تلك لكرهه للعالم وحبه الابتعاد عن اموره ، ولشغفه بحقيقة الحياة الروحيّة وتوقانه الى ممارسة الفضائل وامتلاك العلم الصحيح في الدين الحقّ . لكنه لم يكن يجد في الدير ما كانت تتوق نفسه اليه للحصول على مشتهاه. فانهُ باطلاً كان يبحث ، وباطلاً كان يطلب الى الرهبان اخوته بان يشرحوا له عن حقيقة العيشة النسكية وعن ضروب رياضاتها فلم يستطيعوا ان يشفوا غليله اذ انهم لم يكونوا يعرفوا من العيشة النسكية الّا اسمها . فاتفقوا على ان يرسلوه الى اديار البلاد السحيقة لعله يجد الكتب اللازمة للتدرب على العيشة النسكية الحقة ثمّ يأتي ليعلّمهم ويدرّبهم في معيشتهم

فاخذ يطوف البلاد ويزور الاديرة والمحابس مفتشاً على كتاب الكمال الرهباني .

ولمّا بحث في كل أصقاع غودجام بدون جدوى عزم على السفر الى مدينة غوندار عاصمة المملكة حيث كانت المدارس والكليات زاهرة. فنزل على إمام الرهبان الذي اكرم وفادته فصادف هناك عدداً من الاكليريكيين العلماء فساكنهم واخذ يدرس عليهم حتى فاقهم فصار مرجعاً يُرجَع اليه ومقصداً يقصده كبار عصره. فدعى به الملك يوهانس الرابع فاتخذه له معلماً ومدرّساً. امّا غبري ميكائيل فكان مع كل اشغاله ومطالعاته لم يفتأ باحثاً عن كتاب يرشدهُ الى الكمال الرهباني، طالباً الحقائق الراهنة التي تشبع العقل وتزيل اوهامه، وتُسكن القلب وتريح بلباله الى ان اسعده الحظ فعثر عليه وعلى كتب اخرى نفيسة. وعندئذٍ كرَّ راجعاً الى ديره في مرتولي مريم تاركاً العاصمة واصحابه وتلاميذه ولاسيا لانه رأى ان لا فائدة له بعد من مكثه في العاصمة وذلك سنة ١٨٣٨ وكان قد ناهز الخمسين سنة من عمره. وكان ذا قامة معتدلة اسمر البشرة، صبيحاً بشوشاً لطيف المعاشرة. واما عقله فكان ثاقباً وحكمه صائباً. وكان يكره المداهنة والخبث والكذب

﴿ بحثه عن الحقيقة ﴾

كان غبري ميكائيل كلّما تمكّن في الدرس والمطالعة ازداد شوقاً الى معرفة الحقيقة. فانه بعد ان طالع الكتب وباحث العلماء وسائل المتنوّرين لم يزل عقله متقلقلاً ونفسه مضطربة، يرى التناقض في تعاليم اجداده ومعتقدات بني جلدته دون ان يجد مَن يبدّد اوهامه ويزيل شكوكه المتزايدة. لذلك عزم على البحث عن الكنيسة الحقيقية التي لا بدَّ من ان يجد فيها الضالّة المنشودة. فقصد السفر الى اورشليم المدينة المقدسة اوّلاً لنوال مبتغاه ثمّ تمنياً للتبرّك بالاراضي التي قدّسها السيد له المجد بدمائه واعماله. فتأبط عصا الترحال وشدّ مسافراً زائراً في طريقه الاديرة التي كان يمرّ بها وطائفاً الى كل راهب عالم كان يصادفه ان يزيل شكوكه ويؤيد ايمانه فلم ينل الّا الاهانات والاضطهادات والفشل

قطع الطوباوي غبري ميكائيل اقليم غودجام ووصل الى اقليم التيغره فزار دير ديري بيزان المشرف على ساحل مدينة مصوّع وهناك اتمه الرهبان بعدم استئناف سفره لاسباب تجهلها. فعدل اذ ذاك عن ركوب البحر الى الاراضي المقدسة منتظراً

فرصة مناسبة لنوال الارب الّا انهُ ذهب الى دير غوندةغونده حيث أقام نحو سنة كان في اثنائها يعلم الرهبان ويلقي عليهم الدروس اللازمة لمعيشتهم . وبعد ذلك نزل الى مصوّع وانتظر هناك نحو خمسين يوماً ثم صعد الى الجبل الى مدينة أدوّا

« التقاؤه بالمكرّم دي ياكوبيس اللعازري »

هناك في مدينة أدوا كان الله ينتظره بواسطة احد المرسلين اللعازريين كما كان ينتظر شاولَ بواسطة حنانيّا في دمشق الشام . وذلك انهُ حدث في تلك الايام ان مات اسقف الحبشة فارتأى رؤساء الاقاليم ان يرسلوا وفدًا الى القاهرة ليأتوا بخلف لهُ . الّا ان السفر كان مخطرًا في تلك الايام تكتنفه صعوبات شتى . فأبى الوفد الذهاب الى مصر ما لم يكن معهم احد الاوروبيين ليقودهم ويحفظهم ويدافع عنهم عند الحاجة . فسأل الملك «اوبياء» الابَ دي ياكوبيس اللعازري الذي كان مقيماً منذ سنتين في أدوا ان يرأس الوفد . فرفض اولًا لتواضعه ثم لانهُ لم يُرِد ان يكون هو المرسل الكاثوليكي قائدًا لبعثة ارثذكسية في مثل هذه الظروف . اما الملك فلم يرضَ بإبائه بل عاد ملحًّا عليهِ كثيرًا وكان من اصدقائه . فبعد ان صلّى المرسل القديس اليهِ تعالى رأى ان في هذا ارادة الله لخير النفوس ولمستقبل رسالته في البلاد . فرضي ولكن بشرط ان يقود الوفدَ الى رومية ثم الى اورشليم بعد اتمام الغاية المقصودة من البعثة في القاهرة وان يعطيهُ الملك رسالتين الواحدة للبطريرك القبطي توصيةً بهِ لهُ بصفة كونه نائباً رسوليًّا للرسالة الكاثوليكية في بلاد الحبشة وطلب منهُ ان ينقض الامر الذي كان اصدرهُ بعدم تشييد كنائس ومدارس كاثوليكية فيها ، وان يَعِد بمصالحة الكرسي الرسولي وازالة الشقاق . والثانية عريضة للاب الاقدس ممضاة من اعضاء الوفد يعرضون فيها لقداستهِ انهم موفدون من قبل ملكهم ليقدّموا لهُ واجب الاحترام . فقبل الملك هذه الشروط كلها وقدّم لهُ فرساً ملوكية ليركبها ثم سلَّمهُ الرسالتين المطلوبتين ودعا لهم بالتوفيق

فسمع غبرى ميكائيل بالخبر فسأل ان يكون من جملة الوفد فنال متمنّاه ففرح بذلك فرحًا لا يوصف . وكان يطلّ النفس بالوصول الى الحقيقة المرغوبة التي تريح باله وتزيل شكوكه في امور الدين ، آملًا ان بطريرك الاقباط حارس وديعة ايمان مرقس

سيبدد بانوار تعاليمه السامية كل ظلام في عقله ويؤيد بسلطان كلمته الايمان في قلبه. لكنّ هذا كلّه لم يكن الّا اضغاث احلام لأنّ الحقيقة لا تتجزأ ، ومن ابتعد عنها ليس لكلامه وضوح اذ هو بعيد عن نور الحقّ ومن ثمّ فهو عاجز عن الاقناع. غير ان يد الله كانت تقوده وهو لا يدري الى الاب دي ياكوبيس ملاك حياته فيقوده رغماً عن شديد تعصبه الى معرفة الحق الصراح فيخدع له ويصبح له خادماً اميناً ومبشراً خلوصاً

﴿ سفره الى مصر ﴾

ركب الوفد المذكور برئاسة المكرّم دي ياكوبيس سفينة ذات قلوع في البحر الاحمر وغايتهم القاهرة فدام سفرهم نحو شهرين اظهر المكرّم دي ياكوبيس فيهما من ضروب العناية والاهتمام بكل واحد منهم ١٠ جعلهم يلهجون بفضله مقدّمين له كل اكرام واعتبار بعد ان كانوا يعتبرونه عدوّاً لهم لمناكسته ديانتهم. حتى ان الطوباوي غبري ميكائيل نفسه كان مثلهم ينظر اليه شذراً معتبراً اياه اراتيكياً. لكنه لما رآه مثالاً لجميع الفضائل صار يحترمه ايّ احترام ويجلّه اي إجلال بل صار يميل اليه ويحبه قلبياً ويشتهي عادته

وصل الوفد الى القاهرة وهناك خابت آمال غبري ميكائيل ، ويا لها من خيبة اذ انهم لدى وصولهم مثلوا امام البطريرك القبطي فاستقبلهم بغضب واخذ يشتمهم ويبيتهم لانهم اتوا مع مرسل كاثوليكي ، وحرّم عليهم تحت عقاب الحرم الكبير ان يعودوا الى مخالطته. فاستاءوا جميعهم من هذا التصرّف ولاسيا الطوباوي غبري ميكائيل وبالاخص لما عيّن لهم شاباً غبياً جاعلاً اسمه «ابونا سلامة» ليكون اسقفاً على بلادهم. فعندها قام غبري ميكائيل معترضاً بجرأة على هذا التعيين مبيّناً ببراهين دامغة عدم كفاءة المنتخب ليكون اسقفاً لكنيستهم. فغضب عليه سلامة واضمر له الشرّ منذ ذلك الحين عازماً على الانتقام منه. واذ لم يعبأ البطريرك باحتجاجهم اضطرّوا الى الرضوخ لاوامره مرغمين. فاستولى القنوط على الطوباوي وزادت شكوكه في حقيقة الكنيسة الحبشية. وعلى الخصوص لما اراد ان يستفتي البطريرك في امور كثيرة فلم يجبه هذا بكلمة بل امره بان يستفتي فيها اسقفه الجديد الذي صار في الجواب فرده

الى البطريرك فصار البطريرك يرسله الى الاسقف وهذا يراجعه الى ذاك حتى فشل اي فشل ووقع في ارتباك عظيم. ثمَّ ان البطريرك امرهم بالرجوع الى بلادهم فاظهروا رغبتهم في الذهاب الى اورشليم فاراد منعهم عن ذلك فتمرَّدوا عليه فتركهم حينئذٍ وشأنهم فأخذوا معهم قائدهم القديس الذي اغتنم الفرصة ليُبحر واياهم الى رومية العظمى

﴿ في رومية ﴾

ما كاد الوفد يطأ ارض رومية حتى انتعشت نفوسهم وطابت قلوبهم ولاسيا امتثلوا امام السعيد الذكر البابا غريغوريوس السادس عشر. فقابلوا بين ما لقوهُ عنده من الوداعة واللطف المقرونَيْن بالعظمة والجلال وما لقوهُ عند البطريرك القبطي من الفظاظة والتعنّت. اما اندهاشهم مما رأوا من عظمة البلاط البابوي وفخامة كنيسة القديس بطرس وسائر كنائس رومية مع ما شاهدوه من الآثار الدينيَّة المؤثرة في الدياميس وغيرها فحدّث عنهُ ولا حرَج. كل ذلك اثر تأثيرًا بليغًا في عقل غبرى ميكائيل وقلبه فشعر في باطنه بزوبعة هائلة واضطراب عظيم. فاخذ وهو الحصيف الفهيم والبحّاثة العلّامة المدقّق يزن بميزان عقله الراجح ما رآه وما اختبره اولًا في شخص قائدهم الاب دي ياكوبيس القديس ثم في شخص البابا نائب المسيح على الارض واخيرًا في جميع اماكن رومية وآثارها الناطقة بما جرى للكنيسة في نشأتها والدالّة على انها هي الاساس والصخرة التي بنى عليها السيد المسيح بيعته دون سواها ومنها يجب ان تستمدّ بقيّة الكنائس قوتها وسلطانها. ثم تذكّر ان كنيسته الحبشيّة كانت في بدئها مشتركة مع هذه الكنيسة الحقيقية فانفصلت عنها لغايات بشريّة. الى غير ذلك من الاعتبارات الهامّة التي يقتنع بها كل عقل سليم خالٍ من كل غرض مثل عقل غبرى ميكائيل. واذا اضفتَ الى كل ذلك ما شاهده من البطريرك القبطي ومن الاسقف سلامة وما يعاينهُ كلَّ يوم من حالة الكنيسة الحبشيّة المحزنة وحالة الرهبان والشعب المتسكع في ديجور الضلال تحققتَ ان ايمانه قد تزعزع وتضعضع عقله وتغيّرت افكاره. الّا انهُ لم يكن قد حان الاوان بعد ولم تأتِ ساعة الرب التي قد عيّنها تعالى من الازل لانقشاع الظلام عن عقله تمامًا ليرى نور الحق ويتبعه بلا خوف

﴿ في اورشليم والقاهرة ﴾

ومن رومية اتوا الى اورشليم المدينة المقدسة فاطلقوا العنان لعبادتهم في معابدها ولاسيا في قبر السيد المسيح وبيت لحم . وكان غبرى ميكائيل في جميع زياراته لتلك الاماكن المباركة غائصاً في بحر الصلوات الحارة ذارفاً الدموع السخينة من شدة التأثير والخشوع . ولما كانوا نازلين على المرسلين الفرنسيسيين حرّاس الاراضي المقدسة لقوا منهم كل عناية والتفات وشاهدوا فيهم اناساً متجرّدين من كل شيء ارضي مكرّسين حياتهم لخدمة الرب والقريب . وهذا ايضاً مما أثر في قلب غبرى ميكائيل الذي لم يفتهُ امر ولم تخفَ عليهِ حركة شأنَ من ينظر الى الامور بعين نقّادة قصد ان يطّلع على حقائقها . فرأى الفرق الكبير بين هؤلاء رهبان الكنيسة الكاثوليكية ورهبان بلاده فازداد بلباله وكبرت حيرته وهو لا يدري ان النعمة كانت تفعل في نفسه فعلاً سريّاً قوياً ستظهر مفاعيله في حينها فيندهش ويُدهش كل ناظر اليه

ولم يدع غبرى ميكائيل فرصة وجوده في اورشليم تمضي دون ان يستعلم عن الكنائس الاورثذكسية المختلفة الموجودة هناك . فرأى فيها من الخلاف وتناقض المذاهب المتباينة فضلاً عن الحالة التعيسة الصائرة اليها ما فتّتَ قلبه وذهب بعقله شعاعاً . ومع كل ذلك بقي متمسكاً بمذهبه مع عزمه الثابت على اجلاء الحقائق والانتصار على المذهب الكاثوليكي . لذلك قبل رجوعه الى بلاده طلب الى البطريرك القبطي ان يسلمه صورة الايمان الواجب التمسك به . فبعد الاخذ والردّ اجابه البطريرك المذكور الى سؤله بكتابة يصرّح فيها ان «لابن الله ميلادين ميلاد ازليّ وميلاد زمني وبالتالي ان له طبيعتين الواحدة الهية والثانية بشرية . وانهُ مُسح من الروح مخلِّصاً وفادياً» وكان هذا التصريح مخالفاً لصورة الايمان التي سلمها البطريرك نفسه الاسقف سلامة حين انتخبه لرأس كنيسة الحبشة . فسرّ غبرى ميكائيل كل السرور واخذ الكتابة ليفحم بها الاسقف المتقدم بالذكر . ولم يلبثوا ان همّوا بالرجوع الى بلادهم بصحبة المكرّم دي ياكوبيس

﴿ في رجوعه الى بلاد الحبشة ﴾

ما وصل غبرى ميكائيل مصوّع مع رفقائهِ حتى علم ان الملك «اوبياه» اضطر

الى مغادرة جهة الشمال لينتقل الى جهات اخرى . وكان الاسقف سلامة دري برجوع غبرى ميكائيل عدوه الالد وعلم بانه حامل كتابة رسمية من البطريرك فيها صورة ايمان مضاد ايمانه وتعاليمه . فارسل سلامة جواسيس ليغدروا بــه على الطريق قبل وصوله الى غوندار . فأخبر غبرى ميكائيل بذلك فأخذ يسير في طرقات مجهولة خوفاً من الوقوع بين ايدي اولئك الرجال . وكان تارة يتخفّى وتارة يأوي الى المغاور حتى وصل الى أدوا فلاقاه المكرّم دي ياكوبيس بكل حبٍ وترحاب . فاستراح عنده من عناء الطريق ولقي منه كل انعطاف ومساعدة . ومع ذلك كان ولم يزل يضمر في قلبه الانتصار عليه في كنيسة الحبشة بواسطة صورة الايمان التي كان يحملها ليُعلن بين شعبه وأمته . حتى انه كان يأمل بعد نشر ايمانه انه يستطيع ابعاد هــذا المرسل الكاثوليكي عدو كنيسته من البلاد هرباً من القلاقل والبلابل فتستطيع كنيسة الحبشة النمو والتقدم دون مانع ولا معارض يقف في وجهها

وبعد ان اخذ الراحة اللازمة عند الاب دي ياكوبيس استأنف السير الى غوندار ليسلم الكتابة باحتفال عظيم في جمعيّة حافلة الاسقف حتى يذيعها . فكان كشاوول على طريق الشام يسير ولا يدري انه سائر الى النور الحقيقي والدين الصحيح الـذي كان يتوق اليه بكل قوى نفسه . ولما وصل الى هناك أعلم الاسقف بواقعة الحال . فاضطرب هذا اي اضطراب لكنه أخفى تأثره وأضمر في قلبه الشر لغبرى ميكائيل بل كان يريد القاء القبض عليه لولا حماية تلميذه وصديقه الامير عطية يوهانس ووجوده في دير رئيس الرهبان

ولما اجتمع الرهبان والعلماء في اليوم المعيّن لاعلان فحوى الكتابة البطريركية قام غبرى ميكائيل وسلّم الرقيم للاسقف سلامة . فبعد ان أطلع هذا على مضمونه طواه ووضعه في جيبه رافضاً بتاتاً تلاوته على مسمع الحاضرين . فقامت قيامة الجميع عليه ولاسيما غبرى ميكائيل الذي جاهر مع اصحابه بانه لا يعترف به اسقفاً . حينئذٍ هجم رجال سلامة عليه ومزّقوا ثيابه واهانوه فغضب الحاضرون من هذه المعاملة . فتآمر الرهبان والعلماء مع الملكة على الاسقف قاصدين اما ان يردّوه الى مصر واما ان ينفوه الى كوالا (الجبة الجنوبية) اسيراً حيث يفترق الذبابات اولاً ويموت قهراً . فقام غبرى ميكائيل معاكساً هذا الرأي قائلاً انه يجب الاكتفاء بعزله من كرسي الاسقفية

ونفيه الى جهات أدوا وهكذا صار

﴿ في اعتناق غبرى ميكائيل الدين الكاثوليكي ﴾

فلمَّا حبطت كل مساعي غبرى ميكائيل في اعلاء شأن الكنيسة الحبشية بعد ما قتله الاسقف سلامة المتمرّد على اوامر البطريرك استولى عليه حزن شديد واخذ منهُ القنوط مأخذه. فصغرت نفسه في عيني ذاته وقطع الرجاء من اصلاح الحال. لكنَّ الايمانَ يبتدئ حيث تنتهي الكبرياء. لذلك طلب العزلة والانفراد في بيت صديقه الامير عطيه يوهانس وهناك شرع يردّد في افكاره كل ما جرى له وكل ما رآه في رومية واورشليم وفي اديرة الرهبان اللاتين ولا سيما من قائدهم ورفيقهم الاب يوستينوس دي ياكوبيس اللعازري. كل ذلك فعل مفعوله العجيب في عقله وقلبه فأخذ يقابل ويجادل ويستنتج النتائج فكانت النتيجة عنده التي لا ريب فيها ان الايمان الكاثوليكي هو الايمان الحقيقي وان الكنيسة الرومانيَّة هي التي أسسها المسيح وساسها الرسل وخلفاؤهم وهي وحدها حافظة الدين الحق والعلم الصحيح

فقام لساعته وذهب الى ادوا لزيارة الاب دي ياكوبيس. ففتح له هذا الرسول القديس قلبه وذراعيه. فباح له غبرى ميكائيل بسرّه لكنَّهُ طلب اليه ان يعطيه فرصة لدرس الدين الكاثوليكي مستفهماً ومجادلاً ومباحثاً مدققاً. فبقي على هذه الحال نحو خمسة اشهر. ولمَّا انجلت له الحقائق وسطع نور الحق لعينيه أحنى رأسهُ وأخضع عقله وقال من صميم قلبه وبكل قوى نفسه: «آمنتُ». فدحض جهراً المذهب الحبشيّ، وتحوّلت جميع اشواقه وافكاره الى نشر الحق بين بني جنسهِ، فتقدّم ذاته لخدمة النائب الرسولي وبدأ يعلم ويباحث ويجادل لاقناع المتعصّبين التائهين في بيداء الضلال والجهل. فكانت ترى غرفته دائماً حافلة بالعلماء وطالبي الجدال والعلم الحق. فكان يبدّد غياهب الضلال من عقولهم مبيّناً لهم الصراط المستقيم ومستحلفاً اياهم ان لا يهملوا البحث والتدقيق في مثل هذه الامور المتعلّق عليها الخلاص الابدي وكان لكلامه وقعٌ عظيم في قلوب سامعيه حتى انهم كانوا لا يستطيعون ان يجيبوه بكلمة. فقبل منهم كثيرون تعاليمه وارتدّوا الى الايمان الكاثوليكي وبينهم كان ستة من تلاميذه القدماء من رهبان دير غوندهغونده. فانقاد هؤلاء الى اوامر الاب

دي ياكوبيس النائب الرسولي واخذوا يطوفون البلاد معاً ومع غبرى ميكائيل ويزورون الاديرة باحثين في مكاتبها عن الكتب النفيسة التي تبرهن عن قدامة الكنيسة الكاثوليكية. ثمّ شرع غبرى ميكائيل يؤلف الكتب المفيدة للمدافعة عن الايمان الكاثوليكي آخذاً براهينه عن كتب الحبشيين انفسهم وينشر التعاليم اللازمة لتدريب الاكليريكيين حتى يحسنوا التأهب لقبول الدرجات المقدسة. وبمساعدته وبواسطة المرتدين حديثاً الى الايمان تمكن الاب دي ياكوبيس من اقامة مدرسة اكليريكية في غوالا. فلم تلبث هذه المدرسة ان ازدهرت بالعلوم والفضائل واثمرت ثماراً شهيةً. ففي هذه المدرسة قضى غبرى ميكائيل حياته الى اليوم الذي فيه قيد الى السجن والاستشهاد

﴿ في بدء الاضطهاد ﴾

وحدث في تلك الايام ان سافر غبرى ميكائيل الى غوندار ليردّ تلميذه وصديقه الامير عطيّه يوهانس الى الايمان الكاثوليكي فنجح في مسعاه . الّا انّ الاسقف سلامة كان يراقب كل حركات الاب دي ياكوبيس وتلميذه غبرى ميكائيل فهيّج الشعب والكهنة عليهما وعلى الرسالة الكاثوليكية جمعاء . فاضطرّ الاب دي ياكوبيس الى الالتجاء الى الملك اوبياء الذي احسن وفادته واخذ يناصره وجاء بنفسه معه الى الثغر لتهدئة الامور. ولم يرجع الاب دي ياكوبيس الى غوالا حتى أثار عليه الاسقف سلامة ثانيةً الكهنة والشعب فهجموا على الدير واحرقوه مع الكنيسة وسلبوا كل ما كان فيهما من الامتعة. فهرب الكاثوليك وتشتّت شمل الكهنة. فلم يستطع الملك اوبياء منع كل ذلك لان الاسقف سلامة كان ارسل اليه يهدّده بالحرم فخاف من حنقه وشرّه. ثمّ علم سلامة ان سيادة الاسقف ماسيا كان أتى الى غوالا وسام كهنة كاثوليكيين فثار ثائره واشتدّ غضبه على دي ياكوبيس وغبرى ميكائيل وكتب الى الملك اوبياء يعلمه بذلك فخاف الملك من عاقبة الامر وسأل الاب دي ياكوبيس بان يُخرج الاسقف اللاتيني ماسيا من ديره

امّا الاسقف سلامة فكان يرسل الاوامر المشدَّدة الى رؤساء الشعب بقتل الاب دي ياكوبيس وغبرى ميكائيل متهدّداً اياهم بالحرم وواعداً من يستطيع ان يأتيه برأس احد هذين العدوّين بسبعة اكاليل في السماء. وكان الملك اوبياء يودّ المحافظة على

الاب دي ياكوبيس الّا ان الاسقف سلامة لمّا رأى منهُ الميل الى الثائب الرسولي اصدر عليهِ الحرم الكبير وحرّم على الشعب ان يقدّموا لهُ الماء والحطب. واقفل جميع الكنائس ومنع الكهنة من توزيع الاسرار الى ان يُطرَّد الكاهن الكاثوليكي ومن معهُ . فنسب الشعب كل هذه البلايا الى الملك اوبياء فخاف وارسل يسترضي الاسقف سلامة فأبى هذا ان يصالحهُ ما لم يطرد الكاهن الكاثوليكي . فاضطرَّ الملك اذ ذاك الى ارسال الاب دي ياكوبيس الى مصوَّع

﴿ في سيامة الاب دي ياكوبيس اسقفاً وقبول غبرى ميكائيل من يده الدرجة الكهنوتية المقدسة ﴾



صورة الكاهن الحبشي غبرى ميكائيل

وكان أنْ صدَرَ امر المجمع المقدَّس بسيامة الاب دي ياكوبيس اسقفاً ليثبّت الكنيسة الحبشيَّة الكاثوليكية الحديثة في الايمان فأفرغ هذا الاب القديس طاقة جهده ليبعد عنهُ الرتبة الاسقفيَّة الّا انهُ التزم بعد ممانعةٍ دامت سنة كاملة بالرضوخ لاوامر العناية الالهيَّة والكرسي الرسولي . تمَّت سيامته سرّاً وبقيت سرّيةً مدَّة ثماني سنين لم يدرِ بها الّا الكهنة فقط والبعض القليل جدّاً

وفي تلك الاثناء جاء السيد دي ياكوبيس الى اليقاتا لبعض الامور الهامة رغماً عن الاضطهاد فطلب اليهِ غبرى ميكائيل ان يسمح لهُ بالذهاب الى غوندار ليهدي الكهنة الضالين.

فباح له بذلك الّا انّهُ لدى وصوله الى هناك خانهُ البعض فأخذوه وسلّموه الى رجال الاسقف الذين وضعوه في السجن مقيّداً مدة سبعين يوماً . ولم يخرج من سجنه الّا بواسطة الملك اوبياء ذاته . ففهم اذ ذاك ان الله يريده بالقرب من ابيه الروحي السيد دي ياكوبيس . فسافر الى الميتيانا وانكبّ على الدرس وممارسة الفضائل المسيحيّة تحت ادارة معلمه القديس الذي اغتنم الفرصة ليدفع تلميذه الى قبول الدرجات المقدسة . فاندهش غبرى ميكائيل من هذه الباغتة لكنهُ لم يلبث ان رضخ للامر معتبرًا اذ ذاك صوت الله ان نعمة الكهنوت تسهّل عليه العمل وتنصره على المصاعب فيخلّص غيره فضلًا عن تخليص نفسه . فاخذ يستعدّ لهذا الامر الخطير اي استعداد مدّة سنة كاملة وفي نهايتها سيم كاهناً من يد ابيه وذلك بحفلة سريّة جرت في اول كانون الثاني سنة ١٨٥١ وكان عمره اذ ذاك ٥٦ سنة

وبعد ذلك ارسله السيد دي ياكوبيس الى غوندار عاصمة البلاد عاقدًا على غيرته وحكمته وقداسته آمالًا كبيرة . وكانت نفسه تحدّثهُ بهداية الملك اوبياء ذاته الى المذهب الكاثوليكي . غير ان الظروف لم تساعدهُ على اتمام ما كان ينويه من الخير بل ان الايام خانتهُ واحبطت كل مساعيه لان الاسقف سلامة كان بحيله ودهائه قد نال حظوة كبرى عند الملك الذي كان يخاف منهُ . وحدثت في تلك الاثناء فتنة في الدولة كانت نتيجتها ان دارت الدوائر على الملك اوبياء فطُرد من اراضيه وقام مكانه جنديٌ اسمهُ كاسا فساعده الحظ وخدمتهُ الظروف والايام فنودي به ملكاً باسم تاودوروس . فهذا اتفق مع الاسقف سلامة على اضطهاد الكاثوليك وطرد المرسلين اللاتين . فلمّا شعر السيد دي ياكوبيس بالخطر جاء الى غوندار ينتظر الاقدار

﴿ في الاضطهاد العام ﴾

فلمّا تربّع كاسا في دست الملك اخذ على نفسه بمساعدة الاسقف سلامة ان يمنع الحبشة عن نبذ دينهم متهدّداً بالموت كل من يخالف هذا الامر . فنال سلامة مبتغاه واعلن صورة ايمان هذا مؤدّاها : « ان كان احد ينكر ان المسيح هو الله بناسوته وانهُ كانسان مساوٍ في العلم للآب والروح القدس فلتُقطع عنقه ورجلاه » ثمّ سألهُ الغازي كاسا ان يمسحهُ وينادي به كملك ملوك كل الحبشة فوعدهُ الاسقف بذلك

بشرط ان يطرد المرسلين الكاثوليك ويخرب اديرتهم وكنائسهم فاجابهُ العازي: «يا ابا نفسي فليكن لك كما تريد على شرط ان تعضدني»

فانكسر الامر في كل مكان واشتعلت نيران الاضطهاد العام ضد جميع الكاثوليك. وارسل الاسقف سلامة الى الملك يقول لهُ انهُ لن يعود الى غوندار الّا بعد طرد السيد دي ياكوبيس ورجاله منها. فارسل الملك والقى القبض عليهم فقيدوهم بالسلاسل واخذوهم الى السجن. فحبسوا السيد دي ياكوبيس وحده واما غبرى ميكائيل والباقون فاخذوهم الى مكان آخر. لكنهم قبل ان يفترقوا خرّوا كلهم على قدمي ابيهم ومعلّمهم السيد دي ياكوبيس وطلبوا بركتهُ بدموع غزيرة. فبكى هو بكاءً مرًّا عند ساعة الفراق هذه، ولاسيما لمّا عانق غبرى ميكائيل كأنهُ كان يشعر باطنًا بما سيحلُّ بهِ من العذاب والآلام حبًّا بسيدهِ

﴿في سجن غبرى ميكائيل وعذاباته﴾

فلما وصل غبرى ميكائيل ورفقاؤه الى السجن ارسل الاسقف سلامة يأمر السجّان بالتضييق على غبرى ميكائيل اكثر من غيره. وعند الصباح جاء هو بنفسهِ الى السجن ليستميل الطوباوي الشهيد اليه. فسأله ان يأتي ليتناول طعام الصباح معهُ ظانًّا بذلك انه ينتصر عليه. فقال له الشهيد: «انا لستُ بحاجة الى طعام. فاذهب وقدّم طعامك لاخي الكاهن الموجود معي لانه معذّب اكثر مني» حينئذٍ وثب الاسقف كالنمر على الشهيد وضربه بشدّة على خدّهِ قائلًا له: «أيها المتكبّر أتت بين يديّ وتريد ان تتأمّر عليّ» وعندها هجم الحاضرون عليه وضربوه بعنف وشتموه واهانوه ومزّقوا ثيابه فانطرح على الارض بين ميت وحيّ وصار الدم يتدفق من فمه بكثرة حتى خيل للجميع انه قد مات

ثم جمع الاسقف الكهنة وتلا عليهم صورة ايمانه التي كانت كنائس الحبشة رفضته سابقًا فخضع الاكثرون خوفًا من غضبه ولم يلبث الباقون ان وافقوه هم ايضًا. فلما رأى الاسقف انتصاره الباهر على هؤلاء ظنّ انه ينتصر على غبرى ميكائيل ورفقائه. فأمر باحضارهم امام الذين جحدوا الايمان الكاثوليكي وقال لهم: «ان لم تجحدوا ايمانكم مثل هؤلاء اسلمكم الى الملك ليصدر عليكم حكم الموت» فاجابه غبري ميكائيل: «كلا لا اجحد ايماني قط فهو متأصل في قلبي. فافعل بي ما



الابا غبرى ميكائيل في سجنه

تريد» . ثم قال الآخرون : « ونحن ايضاً نفضل الموت على الكفر» . فغضب الاسقف وامر بان توضع ارجلهم في مقاطر خشبية ضخمة وهذا ما يسمونه بلغتهم «عذاب الجهند» وهو عذاب اليهود يجعل الانسان الذي يريدون تعذيبه عديم الحركة بنوع انه لا يستطيع سوى القعود او الاستلقاء على ظهره فقط . وبقوا على هذه الحالة مدة ثلثة اشهر في سجن مظلم ومنتن ذي رطوبة ووحل وكان البرد قارساً والمطر غزيراً جداً ينزل عليهم من سقف السجن المتداعي حتى انهم ذاقوا الموت على عدد دقائق وجودهم في تلك الحالة بما قاسوا من البرد والجوع والعري والضيق والآلام والضنك . وقد ابقاهم هؤلاء الجلادون القساة مدة ثلثة ايام كاملة دون طعام ولا شرب . فالتمت احد

المسجونين مع غبرى ميكائيل وهو الانبا تقله هايمانوت وقال له : «يا ابتِ. يا ابتِ. — اجابه الشهيد: تكلّم يا ابني اني سامع لك . — قال ذاك : ها انهم لم يعطونا لا خبزاً ولا ماء. وانا سمعتُ ان الصوم متى دام اكثر من ثلثة ايام يميت الانسان. أما فاتت هذه المدة؟ — اجاب الطوباوي: يا ابني وكيف اجيبك ونحن هنا في هذا الموضع لا نستطيع ان نميّز الليل من النهار ؟ اما انا فاظنُّ ان الانسان يستطيع ان يعيش بدون اكل ولا شرب مدة ثمانية ايام. — قال ذاك: انا اظنّ يا ابتِ اننا قريبون من اليوم الذي فيه نُعطى ان نشاهد يسوع وجهاً بازاء وجه وان نتسلّى من حضوره اللذيذ . — فهتف حينئذٍ غبرى ميكائيل صارخاً : تعالَ اذاً يا يسوع ! يا خبز الحياة ! ايها النور الازلي ! تعالَ يا يسوع. تعالَ ! »

ثم زيادة تعذيبهم أمر الاسقف بتفريق شملهم فوضعوا كلَّ واحد منهم في مكان مظلم . وهذا كان لرجال الله اكبر عذاب ذاقوه حتى ذاك الحين. اذ انهم لمّا كانوا سوية كان الطوباوي غبرى ميكائيل يشجّعهم بكلامه العذب ومثلِهِ العجيب. وكان الشهيد يتقوّى ويتعزّى بثباتهم وشجاعتهم. أمّا الان فحرموا هذه التعزية واصبحوا في عذاب خارجي وباطني معاً. وكانوا خمسة ومع انهم ثبتوا كلهم في الايمان الصحيح واحدٌ منهم فقط نال اكليل الشهادة وهو الطوباوي غبرى ميكائيل

وكان كلما توالت الايام تزداد مصائب الشهيد وتضعف قواه الجسدية. فاتفق يوماً انه بينما كان يريد ان يجلس انقلب على وجهه وأصبح راسه تحت الخشبة الضخمة التي كانت رجلاه مقيّدتين بها وبقي على هذه الحالة المزعجة ٢٤ ساعةً بدون حركة حتى كادت تزهق روحه. فلما جاء الحارس عند الصباح ظنّه ميتاً . فأعلم الموجودين هناك بالامر فشفقوا عليه وبدأوا يصرخون ويقولون موجّهين كلامهم الى الاسقف القاسي القلب: «يا قاتل الناس. اشفقْ ! » فعندها خاف الاسقف من هيجان الشعب وأمر بتخليصه من « الجهند » وان يقيّد بالسلاسل فقط. لكنه حار في امره ولم يعد يعرف ماذا يعمل حتى يقنع الشهيد بجحود ايمانه . فدعا العلماء والملفين وامرهم بان ينصحوه ليخلص نفسه من العذاب والموت. فاخذ هؤلاء يستعملون معه تارة التحريض واخرى النصيحة طوراً الوعد وطوراً الوعيد واخيراً التوسلات. اما هو فاجابهم بكل سكينة الروح وشهامة النفس: « اهربوا مني ايها الضالّون الساقلون والمضلّون الشيطانيون » ولا

الحّوا عليه طالبين الجدال معه ليقنعوه قال لهم : « انظروا الى هـذه السلاسل فانها تحميكم مني » وكان هذا الجواب مفحماً لهم

فلمّا خابت جميع مساعي الاسقف سلامة طلب الى الملك نفي السيد دي ياكوبيس من البلاد . فشقَّ الامر على الاسقف القديس وعلى ابنائه الشهداء . فارسل اليهم كتابة ليعزّيهم ويوطّد عزائمهم ليكونوا اهلاً للشهادة . أمّا سلامة فالحّ على الملك تاودوروس في ان يشدّد الاوامر على الكاثوليك . فأصدر امرًا مبرماً يحكم بالموت على كل معاند لأحكام اسقف الحبش . فاغتنم هذا الرجل الظالم الفرصة ليقضي على غبرى ميكائيل فبدأ اولاً يبنه ويشتمه ويبكته على سوء تصرفه معه . فاجابه الطوباوي : « أجل اني معاند لك نظرًا للايمان . اما نظرًا لواجبات المحبة فلا اظنّ اني اسأت اليك قطّ » فاستشاط الاسقف غيظاً وصرخ باعلى صوته قائـلاً : « خذوه من امامي واجلدوه بقساوة » . فعروه من ثيابه وضربوه ضرباً اليماً عنيفاً حتى تطايرت لحمته وسالت دماؤه فسقط على الارض مغشياً عليه لا يعي

كل هذا لم يشفِ غليل الاسقف سلامة بل طلب الى الملك احضار غبرى ميكائيل امام مجلسه المهيب ليحاكَم ويُعاقبَ على عصيانه . وكان قصده من ذاك اهلاك رجل الله لانه كان يعلم اعتصامه بايمانه وشراسة اخلاق الملك . فقال في نفسه : « ان عاند غبرى ميكائيل الملك وهو الامر الاكيد عندي سيغضب الملك عليه غضباً لا مزيد عليه وحينئذٍ يأمر بقطع رأسه فنتخلص من شره » وكان مصيباً في ظنه الاثيم . فلما حضر الشهيد امام تاودوروس الملك التفت اليه هذا وقال له : « اعلم يا رجل ان شرائع المملكة تحكم عليك بالموت وانا استطيع ان احكم عليك به » . فاجابه الشهيد : وما بالك لا تُصدر عليَّ هذا الحكم عاجلاً » ؟ قال الملك : « اذا كنت تحبّ الموت وتريده عاجلاً عليك ان تقتل نفسك » . فاجاب الطوباوي : « انا لستُ بوضاس لافعل هذا » . فحنق الملك وامر بوضعه في سجن مظلم وبتعذيبه أشدّ التعذيب

وفي تلك الاثناء حاز الملك انتصارات باهرة فطلب من الاسقف سلامة ان يمسحه ملكَ ملوكِ الحبشة ففعل . وعندها اغتنم الاسقف الظالم فرصةً لاهلاك الانبا غبرى ميكائيل . فحركَ الملك على قتله قائلاً له : « الارض كلها تخضع لك الّا هذا الاحمق غبرى ميكائيل . وهذا مما يضرّ بسلطتك اذ يتوهّم الجهلاء انك عاجز عنه » . فاصدر

الملك حكمة باحضار الرجل حالاً امامه وامر بنزع ثيابه عنه وكان في هزال مرعب لشدة عذابه. ثم قال له: «اخضع يا رجل لاوامري وآمن بايماني». فاجابه رجل الله: «ايها الملك لا تأمل مني ان اقول مثلك ان للسيد المسيح الطبيعة الالهية فقط دون الطبيعة البشرية». فضربوه على وجهه ضرباً عنيفاً حتى سقط على الارض مغشياً عليه. وجاء اربعة رجال اقوياء وبايديهم مجالد اذناب الزرائف وهي كالاسلاك الحديدية صلابة ومتانة. وبدأوا يضربونه بقساوة مدة ساعتين كاملتين حتى سالت دماؤه وتناثرت لحمانه وهو يردد باعلى صوته قائلاً: «ايماني ايمان الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومانية. الهي اسأل جودك ان تساعد ضعفي بنعمتك وان تقبلني بنزيه مراحمك»

فلما رأى تاودوروس ان هذا الضرب لا يثني الشهيد عن عزمه امر بضربه سبعين ضربة على عينه الوحيدة حتى اغرورقت عينه بالدماء. وكان الملك الظالم يصرخ باعلى صوته قائلاً: «اضربوه. اضربوا ولا تشفقوا حتى يموت تحت الضرب» فتعب الضاربون من الضرب اما الشهيد فكان كالجبل لا يتزعزع محتملاً هذا العذاب بصبر وفرح حباً بسيده الذي جُلد قبلهُ وعُذّب وصُلب. حتى توهم الحاضرون انه مات. اما هو فلما رأى ان الجلادين توقفوا عن ضربه انتصب وقال لهم: «ما بالكم واقفين؟ هل اخذ منكم التعب مأخذه؟» فاندهش الناس من هذه الشجاعة ومن عدم موته تحت هذا الضرب الاليم الطويل المدة. فان الله كان يعضده ليحتمل هذا العذاب. حتى انه قام من دون ادنى اثر للضرب في جسمه. وعينه التي كانت غارقة بالدماء حتى ظنّ الناس ان نورها قد انطفأ اصبحت اضوأ من الشمس وبانت سالمة من كل اذى. فهتف جميعهم قائلين: «يا لله من هذه الاعجوبة!... حقاً انها لاعجوبة باهرة.. فكيف توارى اثر الضرب من جسم هذا الرجل مع انه ضُرب مدة ساعتين باذناب الزرائف لساعتنا؟ كيف انه ضرب على عينه سبعين ضربة بهذه المجالد وعينه لم يصبها أذى. حقاً ان هذه لاكبر المعجزات.. حقاً ان هذا شاهي القديس جاورجيوس الشهيد.. حقاً انه لقديس»

اخيراً اغتنم تاودوروس فرصة وجود سفير ملك انكلترة عنده حتى يحضر امامه للمرة الاخيرة غبرى ميكائيل. فلما امتثل هذا بين يديه صرخ الملك قائلاً: «ايها الحاضرون كلكم من امراء ومطارين ورهبان وعلماء الشريعة. اني اخضعتُ الجميع

لسلطاني وايماني وشريعتي ما عدا هذا الراهب الذي تمرَّد على السلطة التي قلّدني اياها الله » حينئذٍ انتصب الشهيد وقال له بشهامة مسيحية: « انا لا اعرف قاضياً على ايماني واعتقادي الّا سيدنا يسوع المسيح ونائبه على الارض الحبر الاعظم اسقف رومية». فقال له الملك: « ألستُ انا حاكماً وقاضياً عليك؟ » — اجابه رجل الله: « نعم لك سلطة على الاجساد وليس على النفوس. انت آفة البلاد واستعنك شيطانها ». وعندها حكم عليه الملك بالموت رمياً بالرصاص الّا ان سفير انكلترا تشفّع به فأبدل هذا الحكم بالسجن المؤبد. فكان حيثما يذهب الملك بغزواته وفتوحاته يُقاد الشهيد وراءه مكبّلاً بالقيود الحديدية. فكم ذاق من العذاب ومن الاهانات ومن الآلام التي لا تطاق الّا بمعونة الله ومساعدة نعمته! ودام على هذه الحال مدة شهرين اصابته في اثنائها مع جميع المصائب والضربات والمشقات انواع الحُمّيات وأُصيب اخيراً بالهواء الاصفر. ولما شعر بدنوّ ساعته الاخيرة اتكأ على شجرة في الطريق وتنبأ من البلايا التي ستحلّ بالمملكة الحبشية ورقد بسلام الربّ لينال اكليل المجد الذي يستحقّه. وكان ذلك في ٢٨ آب سنة ١٨٥٢ وله من العمر ٦٤ سنة. فحلّ الحراس قيوده ودفنوهُ باكرام قرب الشجرة التي كان متكئاً عليها

اما الآن وقد تحقّقت الكنيسة المعصومة من الغلط قداسة رجل الله هذا وغريب شجاعته وشديد العذاب الذي قاساه من اجل الايمان الصحيح وثباتهُ في الامانة نحو الله الى آخر نسمة من حياته فقد اعلنت قداسته ونادت به طوباوياً وشهيداً مجيداً وأذنت لابنائها ان يكرّموهُ على المذابح وان يتخذوه شفيعاً لديه تعالى. فنحن نتهلّل ونفرح بتمجيد هذا الشهيد الباسل ونهتف نحوه بافتخار وثقة قائلين: ايها الطوباوي غبرى ميكائيل تضرَّع لاجلنا!

شهيدا الثورة الفرنسوية

من جمعيّة كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين

بقلم الاب يوسف طوان اللعازري

بعد ان تكلمنا عن الطوباوي غبرى ميكائيل فلنتكلم الآن عن الطوباويَين اللعازريين الآخَرين اللذين تمّت حفلة تطويبهما في كنيسة القديس بطرس في ١٧ تشرين

الاول من السنة ١٩٢٦مع ارفاقهم شهداء الثورة وهم الطوباوي لويس يوسف فرنسوا والطوباوي يوحنا ماري نوويار

«١ الطوباوي لويس يوسف فرنسوا»

الشهيد اللعازري

الطوباوي فرنسوا في جمعية المرسلين اللعازريين

ولد هذا الشهيد في ٣ شباط سنة ١٧٥١ في بوزيني (Busigny) وهي بلدة من مقاطعة شمالي فرنسا من والدين تقيين . وفي نهاية دروسه الثانوية التي تلقاها في مدرسة الآباء اليسوعيين في مدرسة كاتو كامبرازي (Cateau_Cambrésis) شعر بالدعوة الرهبانية والرغبة في الانضمام الى جمعية كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين المؤسسة من القديس منصور دي بول . وكان عمره اذ ذاك خمس عشرة سنة . فقبل في دير القديس لعازر في باريس ليقضي فيه سني الاختبار وذلك في ٩ تشرين الاول سنة ١٧٦٦ ولم يبرز النذور الرهبانية الا في ٤ شباط سنة١٧٦٩لحداثة سنه فأثر مثله هذا في اخوته فدخل منهم اثنان في جمعية اللعازريين ودخلت احدى اخواته جمعية راهبات المحبة

ولما سيم لويس يوسف فرنسوا كاهناً ارسله رؤساؤه الى احدى المدارس الاكليريكية الكبرى حيث درّس العلوم العالية كالفلسفة واللاهوت وكان قد خصّه الله بفصاحة اللسان . فكان معدوداً بين الخطباء الممتازين في عصره

وفي سنة ١٧٨١ عيّنه الاب جاكيار (Jacquier) الرئيس العام وقتئذ على جمعية الرسالة رئيساً لمدرسة تروا (Troyes) الاكليريكية الكبرى ولم يكن عمره وقتئذ الا ثلاثين سنة فقام بمهمته هذه حقّ القيام . فاظهر من الحكمة والدراية والادارة والفضيلة ما ادهش معاصريه وجعلهم يجلّونه ايّ اجلال . لكنه لم يلبث ان دعته ادارة الجمعية الكبرى الى منصب كتابة السر العامّة فبرهن عن جدارة عظيمة في تدبير الامور

ولما كان الاب فرنسوا مشهوراً بفصاحته كان الاساقفة ورؤساء الاديار ومدير

المدارس الكبرى يدعونه للخطابة والقاء الرياضات والارشادات الروحية في كنائسهم واديرتهم على الكهنة والرهبان والشعب. فكان كلامهُ يؤثر في الجميع وينشر ثمار الخلاص في النفوس. من ذلك انه خطب في مدرسة سان سير (Saint Cyr) المؤسسة من مدام دي منتنون (de Maintenon) بمناسبة احتفالها بالتذكار المئوي لتأسيسها. فأثنى على مدام دي منتنون وعلى عملها الخيري لكنه ندَّد ايَّ تنديد على سوء تصرف رجال قصر الملك لويس الخامس عشر بلهجة رسولية وغضب مقدَّس وبلاغة تسلب العقول. فكان لكلامه وقعٌ كبير في النفوس وتأثير بليغ في القلوب. فطُبع هذا الخطاب الجميل البديع ودُفع تقدمة بنويَّة لاسقف شارتر (Chartres). ولمَّا توفيت مدام لويز دي فرانس ابنة الملك لويس الخامس عشر التي كفَّرت عن ذنوب ابيها بحياةٍ كلها قداسة في دير الراهبات الكرمليات في سان دني (Saint-Denis) باسم الاخت ماري تراز دي سانت اغوسطان دُعي الاب لويس يوسف فرنسوا لتأبينها ففعل وأبدع. فنُشر خطابه مطبوعاً حتى لا تذهب به ايدي الضياع. وفي تلك الاثناء توفي رئيس مدرسة سان فيرمان الاكليريكية في باريس فاضطرَّ الاب كايلا دي لاغارد (Cayla de la Garde) رئيسها العام الذي قام بدلًا من الاب جاكيار المتوفى الى تعيين الاب لويس يوسف فرنسوا مكانه. وكانت هذه المدرسة اهمَّ مدارس جمعيتنا وليست هذه المدرسة الّا مدرسة ده بون زانفان (Collège des Bons Enfants) حيث نشأت جمعيتنا تحت تدبير ابينا القديس منصور نفسه. فادارها بحكمته المعهودة واتمَّ فيها اعمالًا تُشكر الى ان جاءت الثورة وبدَّدت شمل سكانها. فقام رئيسها الباسل يحتجُّ على هذا الظلم الفاحش فنشر كتيباً يدافع فيه عن حقوق الكنيسة عنوانهُ «رأيٌ في الاملاك الكنسيَّة»

٢ً الخوري فرنسوا يدافع عن الكنيسة

قرد مجلس الثوَّار سنَّ الدستور المدني للاكليروس وكان مجحفاً بحقوق الكنيسة ومخالفاً للنظام الكنسي وحتَّم على جميع الكهنة والرهبان ان يحلفوا يمين الامانة للامة والشرائع والملك. وأثبت هذا القرار الملك لويس السادس عشر لضعفه وخوفه من الشعب. وعندها بدأت الاضطهادات للكنيسة ورجالها. فرفض الاب فرنسوا واخوته

اللعازريون ان يحلفوا اليمين المطلوبة ونشر كتاباً مطوّلاً يبيّن فيهِ عدم وجوب الطاعة لهذا الدستور محرضاً رجال الاكليروس على عدم ابراز اليمين قائلاً: «لا تحلفوا بل فضلوا الموت على ذلك. اجل ان الموت جوعاً هو شرٌّ ولكن شرّاً من ذلك الميتةُ في الجحود والعصيان للدين وللكنيسة». فطُبع هذا الكتاب سبع مرات لاقبال الناس على مطالعته ولما فيه من التعاليم الخلاصية والبراهين القاطعة والنصائح المسيحية

فقام في وجهه حينئذٍ غريغوار اسقف لوار اي شار (Loir-et-Cher) الدخيل الذي كان في مقدّمة القائلين بوجوب ابراز اليمين للدستور. فنشر كتاباً يندّد فيه على كتاب الطوباوي فرنسوا. فاجابه هذا في كتابٍ نشره وجلاه باسم «محاماتي من كتابي ضدّ هنري غريغوار» فنال هذا الكتاب انتشاراً واسعاً اذ طُبع سبع مرات كالكتاب السالف. وفي تلك الاثناء دبّج ايضاً خمس مقالات طويلة ووزّعها على الجمهور وكلها تبيّن ما في الدستور المدني للاكليروس من الضلال والاجحاف بحقوق الكنيسة. فلمّا رأى الثوّار كل هذه المعارضة للدستور الذي سنّوه للاكليروس كلّفوا شاساي (Chassey) باذاعة نشرة جديدة تُتلى في جميع الكنائس يضمّنها الاوامر المشدَّدة لجميع الاكليروس بحلف اليمين. فقام الطوباوي فرنسوا ونشر عن ساعد الجدّ وأذاع كتاباً عنوانه «الفحص عن اوامر الجمعية الوطنيّة بشأن الدستور للاكليروس» وختم كتابه بذات القول الذي ختم به شاساي نشرته وهو: «ايها الفرنسيون قد علمتم الآن مواطف ممثليكم ومبادئهم. فلا تنخدعوا اذاً بكلام ملؤه الكذب والخداع»

ولمّا كان بعض الاكليروس المخدوعين يظهرون استياءهم ممّا كان الطوباوي فرنسوا ينشره مدافعةً عن حقوق الكنيسة ناسبين ذلك الى عدم التروّي والتهوّر وكان الطوباوي قد ردّ على جميع اعتراضاتهم في كتابهِ الاول أراد مع ذلك الردّ ثانيةً على كل هذه الاقاويل في كتاب آخر عنوانه «خطرات افكار في التخوّف من الانشقاق الناتج من عدم حلف اليمين المدني» فنظر في المسألة من جميع وجوهها بايضاح بليغ وفصاحة مفحمة واستنتج من ذلك نتائج قاطعة موجبة ذمةً عدم حلف اليمين بل عدم قبول الاقالة او الاستقالة من المناصب الكنسيّة هرباً من الحلف. ثم عاد في كتاب آخر عنوانه «لا إقالة ولا استقالة» الى هذا الموضوع بزيادة ايضاح. فعندما خلع الثوّار جميع الاساقفة والكهنة الذين لم يرضخوا لليمين ونَبّوا مكانهم آخرين خضعوا

للدستور الدني. فحينئذٍ كتب الاب فرنسوا نشرة ضمّنها في عشرين صفحة جميع النصائح الاخوية ووجّهها الى اولئك الضالّين بهذا العنوان «لم يَفُتِ الوقت بعد» ثمّ أتبع هذه النشرة بكتاب آخر متوّنة باسم «رسائلي الاولى تفنيداً لمزاعم كاموس (Camus) ضدّ براءة البابا» والجزء المختصر الكتاب الذي كان نشره الكاهن بطرس غريغوريوس لابيش دي ريفيفور (de Regnafort) المعنون «بالدواء ضدّ الانشقاق او افكار الفرنسيين الكاثوليك». فاقتطف منه ما يفيد المؤمنين ونشره تحت عنوان «قد عرف الآن الشعب او أجوبة مختصرة وجلية على اعتراضات القائلين بوجوب الخضوع للدستور الدني» فافاض في الردّ على ثمانية وعشرين اعتراضاً

فكل ذلك أغضب السلطة الثورية فقرّرت صورة يمين جديدة اكثر صراحةً من الاولى مؤداها «ألا يجب على كل كاهن او اكليريكي ان يحلف يمين الامانة نحو الأمّة والشريعة والملك وبالمحافظة على الدستور الذي اذاعته الجمعية الوطنية في سنة ١٧٨٩ و١٧٩٠ و١٧٩١» واضافت الى كل ذلك ان كل كاهن يرفض حلف هذه اليمين يُحرَم من معاشه بل يُنفى من بلدته ومسكنه . فأبى لويس السادس عشر اثبات هذا الامر وعندها قام الاب فرنسوا النشيط وحبّذ تصرُّف الملك بكتاب نشرهُ وعنونه «الثناء على تصرُّف الملك في عدم إثباته امر الثوّار»

فكل هذه الكتابات التي نشرها الطوباوي فرنسوا تعرب عن شديد تمسّكه بالايمان الصحيح ومن نشاطه الرسولي القائم بالمدافعة عن حقوق الكنيسة والمحافظة على التقاليد الرسولية ومن غيرته على خلاص النفوس المفتداة بدم ابن الله. وجميعها جُدِّد طبعها مرّات عديدة الى سبع او عشر مرات احياناً لما فيها من الفوائد والتعاليم الصحيحة الحقّة حتى قال احد معاصريهِ السيد بولانجيار (Boulangier): «ان الاب فرنسوا اللعازري كان اشدّ المناضلين على المدافعة عن الدين الكاثوليكي الرسولي الروماني ضدّ اليمين الدني وضد القائلين بقبوله».

استشهاد لويس يوسف فرنسوا

ولم يلبث الثوار ان اصدروا اوامر مشدّدة للقبض على جميع الذين يرفضون حلف اليمين ووضعهم تحت الحفظ في الاديرة والكنائس فكان شأن قومان حيث

كان الطوباوي فرنسوا رئيساً وملجأً لكثيرين من هؤلاء . وكان بينهم الاسقف والكاهن والعالم والخطيب من جميع الدرجات والطبقات حتى بلغ عددهم ٩٣ سجيناً وكان الاب فرنسوا يشجّعهم ويعزّيهم ويقضي حاجاتهم ويرشدهم ويسمع اعترافاتهم . وهو نفسه اغتنم هذه الفرصة فاختلى الرياضة الروحية واعترف اعترافاً عاماً واستعدّ لكل حادث يطرأ بطمأنينة ورباطة جأش بل بفرح مقدس

وفي ٢ ايلول ذاع خبر في كل الانحاء بان الذابح تبتدئ قريباً لينتقى الوطن من الخونة الى نحو ذلك من الاشاعات المرجفة . ولمّا دقّت ساعات الناصية الساعتين قُرعت اجراس الحزن وضُربت طبول الجنود فرأت مدينة باريس مشاهد فظائع وفواحش سوداء في تاريخ الانسانية . فهجم الثوار ورجالهم كالذئاب الكاسرة من رجال ونساء وشبان وشابات وشكوا بابنا. الله الأمنا. نحو ربهم ودينهم وكنيستهم فذبحوهم ذبح الشاة بعد ان اذاقوهم العذابات اشكالاً والواناً من اجل ايمانهم وثباتهم في دين المسيح الحق . امّا الاب فرنسوا فكان قد التجأ الى القاعة العليا من الدير فرموه من فوق الى الطريق فتحطمت عظامه وأتت نساء ورحن يضربنه بدبابيس حديدية ضخمة حتى تطايرت لحمانه فطارت روحه الطاهرة الى الاخدار العلوية حاملة سعفة الانتصار بعد جهاد الابطال وثبات لم يتزعزع في ايمان المسيح . فكان الذين نالوا حظّ الطوباوي فرنسوا في ديرنا سان فيرمان سبعة وسبعين شهيداً . اما الباقون وعددهم ستة عشر فتمكنوا من الفرار ولكنهم ظلوا ثابتين على عزمهم الصالح

﴿ ٢ً الطوباوي حنا ماري غروبار ﴾

الشريد اللعازري

ولد الطوباوي ماري غروبار في دول (Dôle) في ١٣ حزيران سنة ١٧٣٦ وترّبى على التقوى والعفة وممارسة الاعمال الصالحة . ولمّا اقتبل سرّ درجة الكهنوت المقدسة عيّنه اسقفه خادماً لرعية بلدته . لكنه لم يلبث ان طلب الدخول في جمعية اللعازريين فقُبل في عداد المبتدئين في ٢٣ كانون الثاني ١٧٧١ وكان عمره اذ ذاك سبعاً وثلاثين سنة . وابرز النذور في ديرنا في انجار (Angers) في ٢٦ كانون الثاني سنة

١٧٧٣ . وكان متقداً بغيرة رسولية على النفوس : يقضي الساعات الطوال في منبر الاعتراف لارشاد النفوس ويزور المرضى والفقراء والمحبوسين ويعتني باليتامى والارامل وجميع المعوزين شأن ابناء القديس منصور دي بول . وكان لا يمل من الصلوات والتأملات ممارساً الاماتات والتقشفات تتبعاً قول السيد له المجد القائل : « من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن اهلك نفسه من اجلي يجدها : متى ١٦ : ٢٥ » وكان الله قد ميّزه بموهبة تحريك القلوب . لذلك كانت الناس تحب استماع مواعظه والاعتراف بين يديه آتين احياناً من امكنة بعيدة لهذه الغاية حتى شُبّه بابيه القديس منصور بمحبته للقريب وغيرته وتواضعه وسمو فضيلته

وفي السنة عينها ارسله رؤساؤه الى ديرنا في فرسايل ليساعد رئيسه في خدمة الرعية فظهر راعياً غيوراً اميناً ساهراً على خير رعيته الروحي وتقدمهم في السيرة المسيحية . فأحبه ابناؤه الروحيون وكانوا يستشيرونه في جميع امورهم وينقادون بنصائحه وارشاداته . غير ان الرؤساء رأوا في سنة ١٧٨٤ ان ينقلوه الى رعية القديس لويس في باريس وبقي فيها واعظاً ومرشداً واباً حنوناً محبّاً ومحبوباً الى ايام الثورة

ولمّا عيّن الثوار خورياً لرعية القديس لويس مكان المرسلين اللعازريين الذين ابوا ان يحلفوا اليمين وجاء ليستلم مهامّ وظيفته الجديدة استقبله اللعازريون بوجه بارد فأهانهم وابدى استياءه من تصرّفهم فاجابه الطوباوي غروبار : « الحقّ معك باهانتنا فان جمعيتنا تحافظ كل المحافظة على اوامر البابا والاساقفة فلهم ان يأمروا وعلينا ان نطيع لانهم مرشدو نفوسنا واباؤنا في الايمان . ان تعاليمهم دائماً تكون تعاليمنا وارادتهم قاعدة لسلوكنا . »

وبينما كان عدد الخاضعين للدستور المدني يكبر ويزداد كان رجال دير رعية القديس لويس ثابتين كالجبال لا يتزعزعون عن خطتهم حسب روح ابيهم القديس منصور دي بول وتعاليمه وتدابير رؤسائهم . فاضطروا الى الخروج من ديرهم وترك رعيتهم مرغومين . فتفطّر قلب الطوباوي غروبار عند ترك ابنائه الروحيين وتشتت شمل الاباء اللعازريين . فالتجأ هو الى دير سان فيرمان حيث كان اخوه الطوباوي فرنسوا رئيساً ظاناً انه يلقى الراحة وينتظر ايام سلام وسكينة حتى يرجع الى رعيته المحبوبة . ولكنه لم يدرِ ان الله كان قد هيأ له اكليل الشهادة مع اخيه الاب

فرنسوا القديس . لذلك لمّا هجم الثوار على الدير المذكور وفتكوا بسكانه السبعة والسّبعين شهيدًا كما ذكرنا كان الطوباوي غرويار في مقدمة الجميع مظهرًا بسالة غريبة وحبًا حارًّا ليسوع المسيح فضُرب عنقه وقطعت اعضاؤه وهو يقول: «ربي اغفر لهم .. ربي اقبلني في ملكوتك العلوية حيث امتلكك انت الخير الاعظم» وهكذا تمت هذه الذبحة الهائلة في دير القديس فيرمان الذي نحن نجلّهُ لانهُ كان قديماً مدرسة دي بون زانفان (Collège des Bons Enfants) التي كانت مهد جمعيتنا ومسكناً لابينا ومؤسسنا القديس منصور دي بول . فاصبحنا اليوم نجلّهُ ونكرمه اضعافاً ونحبّهُ بزيادة لانه تقدّس بدماء هؤلاء الشهدا الجدد الذين اعلنت الكنيسة المقدَّسة انهم طوباويون بحفلة في غاية الابهة والكمال . رزقنا الله شفاعتهم وحفظنا ببركتهم في ايماننا القويم

لم تصلنا تفاصيل شهيد ثالث من جمعيّتنا قُتل ايضاً في هذه الذبحة وان شاء الله نذكرها عند سنوح الفرصة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء القرون المتأخرة مباشرة بالقرن الرابع عشر

القسم الرابع

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ ابن القلاعي

﴿خلاصة اخباره﴾ هو جبرائيل بن بطرس الماروني الشهير بابن القلاعي ولد في لبنان في اواسط القرن الخامس عشر وتاقت نفسهُ الى العلم منذ نعومة اظفاره لكنّ حالة لبنان في ذلك العهد لم تسمح له بغير معرفة مبادئ القراءة والكتابة . ثمّ زهد في الدنيا بعد ان اختبر قلّة هنائها . واتّصل بالمرسل الفرنسيسي رسول لبنان فراغريفون

فارسلهُ الى ديرهم العامر في القدس الشريف . فما لبث ان طلب الانضمام الى رهبانيَّة القديس فرنسيس فأُرسل الى رومية سنة ١٤٧١ مع رفيق من وطنهِ يُدعى يوحنَّا . فانكبَّا هناك على العلوم الادبيَّة والدينيَّة حتى اتقناها ورُقيا الى درجة الكهنوت

وفي السنة ١٤٩٣ أبحرا قافلين الى اوطانهما . لكنَّ مركبهما الشراعي أُصيب بانواء هائلة هلك بسببها غرقاً رفيق ابن القلاعيّ ونجا هو بنعمةٍ خاصَّة من الله فـاخذ يتعاطى في وطنهِ كلَّ اعمال الرسالة ليثبّت اهل جلدتهِ في ايمانهم ويردَّ غارات اليعاقبة الذي كانوا ساعين في تضليل اللبنانيين وزرع زؤان تعاليمهم في الجبل . فتصدَّى لهم وفنَّد اضاليلهم وصان مواطنيهِ من فسادهم وقرَّر امام رؤساء طائفتهِ دوام اتّحاد الموارنة مع الكرسي الرسولي

وفي السنة ١٤٩٦ أُقيم ابن القلاعي رئيساً على دير رهبانهِ في قبرس فسكن في مدينة افقسيَّة (او نيقوسية) في دير الصليب وعُني بامور اهل المدينة بكل غيرة ولاسيا بالموارنة المهاجرين الى قبرس . ولمَّا توفي اسقف قبرس الماروني يوسف الكيزفاني سنة ١٥٠٧ طلب الموارنة ان يقام خلفاً لهُ على كرسيّ قبرس مواطنهم ابن القلاعي فاجاب الرؤساء الى طلبهم فسُقف المذكور وساس رعيَّتهُ احسن سياسة الى آخر حياتهِ فانتقل الى رحمة ربهِ سنة ١٥١٦

﴿علومهُ وآدابهُ﴾ هو اوَّل كاتب ماروني اشتهر بتآليفهِ التي عدَّدها البطريرك الدويهيّ في تاريخ الطائفة المارونيَّة (ص١٥٣ــ١٥٤) فمن اخصّ مصنَّفاتهِ مقالات في التعاليم المسيحيَّة وفي اسرار البيعة وفي الطقوس وتفنيد الهرطقات وفي الحقّ القانوني الماروني مع خمسين موعظة في اخصّ المعتقدات الكاثوليكيَّة وتراجم قديسين

﴿الشاعر﴾ كان جبرائيل القلاعي شاعرًا فطريًّا لم يعرف من العروض والاوزان الَّا ما ارشدتهُ اليهِ الطبيعة وما سمعهُ في وطنهِ لبنان من الاغاني العاميَّة او المنظومات البيعيَّة السريانيَّة . فعلى هذا الاساس بنى زجليَّاتهِ التي خلَّف منها شيئاً كثيرًا . فاذا قسناها بالشعر الموزون والكلام الفصيح نفرتَ منها وانَّما كانت العامَّة تستحسنها وتتغنى بها وبالخصوص بما كانوا يجدون فيها من ذكر حوادث الاجداد و دويهم ومن التعاليم الدينيَّة والادبيَّة ومن قصص الشهداء والقديسين ولاسيا من سيرة السيد المسيح ووالدتهِ الطاهرة . وقد برع ابن القلاعي في كل ذلك فكان لاناشيدهِ وزجليَّاتهِ

تأثير كبير في قلوب ابناء طائفته ولعلّها كانت من اقوى العوامل لحفظ اهل مذهبه في دينهم المستقيم ولصيانتهم من وباء الاضاليل

وها نحن نذكر شيئاً من زجليّاته ليقف القرّاء على طريقته النظميّة. وقد سبق لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٢٠٠—٢٠٦) مناجاة او مرثاة قالها لما غرق رفيقه الاب يوحنا اوجوان الراهب الفرنسيسي الماروني ونشرها حضرة المنسيور جرجس منش وما جاء فيها قوله:

باب الفراج يا حبيبي   بالحقّ درب الخلاصْ
تركتني في التجاريبِ   وانت ذقت المغاصْ (١
ما كونّا تنبنا (٢ اخوهْ   زيّ الطيور بالقفاصْ
لماذا تجنّب نصيبي   من سكنة لجج البحارْ؟
ومنها: يا حوت ابلَعْتْ يونانْ   رابع يوم اخرجتهُ صحيحْ
وصار نبي صادقْ   عن قبر يسوع المسيحْ
اجعل اخي مثل يونانْ   في وسط بطنك يستريحْ
واخرجْهُ منهُ زي يونانْ   يكرز بما قد اختارْ (٣
طوباك يا كاهن الله   لأنك اقتبلت الكليلْ
من اجل الطاعة استحقّيت   تسلك طريق الجليلْ
طوبى لأمك غبّه (٤   الذي ربّتك يا فضيلْ

١) يريد بالمغاص هي غطسا غوصة اي غرقة في البحر
٢) هذا من لفظ العامّ يريد كنّا اتينا
٣) يريد بما اختيرَ وتعلّم
٤) غبّه اسم والدته على ما يظهر

قربان تقدّمت مقبول صالح وحسن انثمارْ

وهذا مثال آخر قاله في ما جرى للسيد المسيح عند موته :

وقال يسوع: الروح اسلّمك يا ابي وقد احتنى رأسهُ وصار كالنائما
بساعة انفلق الصخر في وقت موته واظلمت الدنيا وصار التهدُّما
والشمس انكسفت غير وقتها حتى النهار اظلم في وقت معتَّما
واترعزعوا الأموات جوُّ قبورهم ولبس عاد نجوم تزهر في السما
وصار الظلام من السادسة للتاسعة على سائر الاقطار مسودٌ مظلما
نظر المقدَّم ذي العجائب كلّها ودقّ على صدره وخَفْ وتوهَّما
وقال : ابن الله كان هذا صالحاً جميع اليهود هربوا بخوف وتقمقما
قالون لبيلاطوس: تشيله عن الصليب لانّ غدا السبت يوماً معظَّما
وقال لهم : اكسروا رجليهم حتى يموتوا واحفروا قبرهما
كسّرون رجلين اللصوص اثنيهم ويسوع وجدوه ميْت ذي نائما
ليس كسّرون رجليه لكن بحربه طعنوهُ في جنبو خرج دماً وما
لونجين كان اسمهُ الذي طعن المسيح وكانت اعيانهُ تغشّت بالعما
ولمّا سكب الدم على عود حربتو وضعهُ على عينيهِ بنور امرجها
وصاح يقول : انا بيسوع مؤمناً تشهّدْ على اسمهُ وصار مكرَّما

وله زجليّة مطوّلة في تاريخ لبنان وعن اصل الطائفة المارونيّة وفيها يقول :

زجيع نخبر عن مارونْ كان عالم بنا في القانونْ
من انطاكية ابوه القانونْ مطران مع السريان قد صارْ

جاء لطرابلس وتكلّمْ مع الكردينال وعليه سلّمْ
لقاه شاطرْ فاهمْ معلّمْ اخذه معهُ في الابحارْ
قال للبابا اخباره وثبّت قولهُ واسرارهُ
رسمه بطرك واعطالهُ درعاً واوصا يتحذّرْ
قال لهُ تجنّب الملكيّه واليعاقبة والقبطيّه
جبل لبنان يكون لك رعيّه في كفرحي مات ذا المختارْ

ومنها وصفهُ للحركة اليعقوبيّة في لبنان بعد ذكره «لعبد المنعم اليعقوبي الذي مات موتة لا دين ولا ايمان» قال يذكر ابن شعبان :

البطركْ كان في قنّوبينْ وابن شعبان في حردينْ
جا يخدع المسيحيّين منهُ تنسَّل ثلاث طغيانْ
ومن اصله كان رومي وبعد ذلك صار ماروني
جاء اليه داسوس ملعوني يدعى عيسى باسم مطرانْ
ابن شعبان مع جماعة حردينْ وصاروا في زيّ الشياطينْ
واطغا العدماء والمتخفظينْ يعلّمون البنات مع الصبيانْ
ويصلّبون بواحد صابعْ وينكروا مجمع الرابعْ
وبابا لاون السابع (١ وملك الارتود كي مرقيانْ
ومارون صار ملبوك معهم وكلّ عديم كان يتبعهم

١) والصواب القديس لاون الاوّل المعروف بالكبير الذي ثبّت المجمع الخلقيدوني ضد القائلين بالطبيعة الواحدة في المسيح

والافعى المسمّه تالدعهم ولا كان يفزع من النيرانْ
مات الافعى وقام ابنُه وفي الطغيان انحس منه
عن الايمان قد ضاع ظنُّه ووراد يحرق لمن ينهانْ

فترى من هذه الامثلة ما تميّز بهِ اول قوّال لبنانيّ صبرت زجليّاتهُ على افنات الزمان فلهجتهُ تُشعر بقرب عهد اللبنانيين بالتكلّم بالعربيّة مع آثار اللغة السريانيّة الشائعة بينهم

٦ ابراهيم الانطاكي

﴿اخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابراهيم الانطاكي ثمَّ الحلبي المعروف بأُصطا ابراهيم الحامي النصراني. قال محمد بن ابراهيم الحلبي المتوفى سنة ٩٧٢ للهجرة (١٥٦٣ م) في كتابهِ دُرّ الحَبَب في تاريخ حلب(Flügel, Ms. de Vienne, ff. ١١ ^٧^): كان شاعرًا ذا ذكاء وذوق مع كونهِ عاميًّا ولهُ موشحات وتصانيف واعمال موسيقية مشهورة على لحنٍ فيها وديوان حافل سمّاه « برهان البرهان ». ثمّ ذكر شيئًا من شعرهِ وختم بقولهِ: توفي ليلة عيد الفطر سنة ستّ وعشرين وتسعمائة (١٥٢٠م):

من شعرهِ موشّح قال فيهِ:

باكرْ يا صاحْ لرشف قدَحْ فالكاسُ زنا دَ الخَمْر قَدَحْ
واشرب قدحاً وانفِ تَرحاً ولْجنَحْ مَرحاً وَالْمحْ لِملَحْ
بِكرْ في الكأ سِ اذا جُلِيَتْ بالبسط اكادُ أطيرُ فرَحْ
تنفي الاحزا نَ بساحتها وبنشوتها كم شحٍ سَمَحْ
في شرح معا نِي بَهجتها قدحٌ منها للصدر شَرَحْ
تنفي الاسقامْ من الاجسامْ بها ما هامْ ووراحْ نصَحْ

واشرع في صبـــــح غبـقتِها فالديك على م الندمانِ صَدَحْ
والوقتُ صفا والحبُّ وفى والكاسُ شفى والهمُّ نزحْ
والجوُّ خلا والبدرُ جلا والطَّيرُ تلا والكاسُ طفحْ

الى ان قال :

ما زلتُ مُسّا في منتبقاً في الخضرة حتى الصُّبحُ وضحْ
من عظم سرو ري في فرحي ايقنتُ بانَّ م المقلَ شطَحْ

وهو القائل في وداع احباب (من الرمل) :

مُقلتي يوم النوى اذ رحلوا خلَّفت من أجلهم طيبَ الكَرَى
ان تَسَلْ عمَّا جرى من ادمعي فوق خدّي بعدهم يا ما جرى

وقال في معناهُ (من الرجز) :

أحبابَنا من بعد كم اجريتُمُ مدامعي
مَن لي معيناً في الهوى يبقى على المدى معي

وقال في وصف غلام (من الطويل) :

ولي رشأ حازَ الجمالَ بأسرهِ لهُ طلعةٌ فاقت على شَفَقِ الفجرِ
تحيَّر فيهِ الواصفون لحسنهِ وقالوا: عجزنا عنهُ بالفكرِ والذِكرِ
فقلتُ لهم: هذا الذي صحَّ انَّهُ كما شاعتِ الاخبارُ في البرّ والبحرِ
تراءى ومرآةُ السماءِ صقيلةٌ فأثَّر فيها وجهُهُ صورةَ البدرِ

ولهُ في آخر (من الرجز) :

مُهَفْهَفٌ من لطفهِ اعطافُهُ ترنَّحت وخدُّهُ لشقوتي وَرْدَتُهُ تفتَّحت

وقال يهجو بعض الامراء وفيهِ نوع الاكتفاء (من المجتث):

اميرُنا ذو معانٍ بحركاتِ السَّواكِنْ

خلا حلاوةَ لفظٍ حلو اللسان ولكنْ...

وقال يهجو صوفياً (من البسيط):

للهِ صُوفيٌّ وقتٍ حازَ اربعةً لاحت لنا من معانيها عباراتُ

ذقنٌ وذيلٌ وعكَّازٌ ومسبحةٌ دكَّانُ زوكرةٍ فيها قشاراتُ

٧٠ - عيسى الهزار القوّال

﴿اصلهُ . زمانهُ . مذهبهُ﴾ كان اوَّل من ألفت نظرنا الى عيسى الهزار السيد المرحوم عبد يشوع الخيَّاط بطريرك الكلدان في سنة ١٩٠٤ فذكر عنهُ انهُ كان قسيساً ورجح كونهُ عاش في اواخر القرن الثامن عشر وحكى عنهُ انهُ في ليلة تغنَّى على السطوح باغاني روحيَّة فحنق عليهِ بعض اعدائهِ فارادوا لهُ بسوءٍ فهرب من وجههم مختفياً وكان ذلك آخر العهد بهِ (قال) ولعلَّهُ ذهب الى القدس وهناك قضى عمرهُ. وشكَّ الكاتب في مذهبهِ أكان من طائفة الكلدان ام من السريان وانما اثبت كونهُ من الموصل

ثمَّ وردتنا في السنة ١٩٠٦ مجلَّة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient Chrétien) واذا في عددها الثالث (ص ٢٥١-٢٧٣) مقالة مطوَّلة نشرها المستشرق الاسباني الكاهن ميخائيل اسين بلاسيوس (Miguel Asin Palacios) استاذ العربيَّة في مدريد مضمونها قصائد روحيَّة باللغة العاميَّة للقوَّال عيسى الهزار نقلها عن مخطوطة للعلَّامة الكبير فرنسيسكو كوديرا (Fr. Codera) مواطنهِ يؤخذ منها انَّ اسمهُ كان فارساً ثمَّ اشتهر بعيسى ولعلَّهُ اتَّخذ هذا الاسم الاخير لما صار كاهناً. واما كونهُ كان يسمَّى فارساً فالدليل عليهِ ما قالهُ في آخر انشودة من اناشيده

فارس قد نظم هذا المديح في العذرا البتول امّ المسيح

واما اسمهُ «عيسى المزار» فقد كرَّرهُ مرارًا في خاتمة قصائده كقوله :

انـا هو عيسى المزارْ ونفسي في الملا سكْرْ

ويقول في محلّ آخر مخاطباً العذراء مريم :

يا دُرَّة ولَّدْ يا شمس العقولْ عيسى المزار فيكِ يمدح ويقولْ

ويروي ايضاً في نظمهِ انهُ من طائفة السريان كقولهِ في مديح آخر للبتول :

وكيف لا امدحها أنْواني وانا من جملة السريانْ

امَّا وطنهُ فيستفاد من اناشيدهِ انهُ كان من نصارى العجم وانهُ قدم من بـلاده الى القدس الشريف حيث يقول :

« الى القدس الشريف ارسلْ من بلاد العجمْ »

ويدلّ اسمهُ «المزار» على اصلهِ العجمي والمزار بالفارسيَّة البلبل ولذلك دعـا ايضاً نفسهُ «بعيسى مزار الشرقي»

وممَّا افادتنا هذه المنظومات المنشورة في مجلَّـة الشرق المسيحي انَّ عيسى مزار تجوَّل في انحاء الشام وزار صيدنايا ووصفَ كنائسها وصورتها الشهيرة. لا بل امتزج بطائفة الروم المتملكين عليها فمدح بطريركهم المسمّى يواكيم :

يا ربّ بالبكر مريمْ احفظ لنـا ذا المقدَّمْ
ابا يواكيم ايضـا البطريرك المكرَّمْ

ولعلَّهُ وهو سرياني كما سبق قولهُ عدلَ الى طائفة الروم الملكيين ولذلك دعـا البطريرك يواكيم بابيهِ

ويدلّ على عدولهِ هذا الى الملكيَّة ما عدا قصائدهُ في مزار البتول في صيدنايا زجليَّةٌ طويلة قالها في السيّد المسيح وختم كلّ ادوارها بهذه الالفاظ اليونانيَّة «اجيوس اوثاوس اجيوس ايسخيروس اجيوس اثاناطوس» اي قدّوس الله قـدّوس القوي قدّوس الحي

فبقي علينا تعريف زمانهِ . وذلك مما يستدلُّ عليهِ من النسخة الخطيَّة التي نقل عنها حضرة اسين بلاسيوس حيث قال انَّ ورقها يشعر بكونها من القرن السادس عشر واوائل السابع عشر

ثمَّ دخلت في مكتبتنا الشرقيَّة مجموعةٌ قديمة من اناشيد لعدَّة قوَّالين تؤيد هذا الرأي ولا يبعد كونها من اوائل القرن السابع عشر

وقد كتب لنا الطيّب الذكر المرحوم السيّد بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت سنة ١٩٠٧ انهُ وجد في قائمة مخطوطات الفاتيكان التي ألَّفها السماني فنُشرت في تأليف الكردينال ماي (Mai : Scriptorum Veterum Nova Collectio, t, IV, p. 591. Cod. DCLXXXII) ذكر مجموع مخطوط تاريخ كتابتهِ سنة ١٨٦٨ لليونان الموافقة للسنة ١٥٥٧ للمسيح فيهِ عدَّة قصائد لعيسى هزار . ومن ثمَّ يترتَّب على ذلك انهُ كان في اواسط القرن السادس عشر . ومن هذا ايضاً نستنتج انَّ البطريرك يواكيم الذي اشار اليهِ هو يواكيم المعروف بابن زياده كان مطراناً على حمص ثمَّ صار بطريركاً ملكيًّا نحو السنة ١٥٩٣ وتولى البطريركيَّة ١١ سنة(١) . فيكون اذن عيسى الهزار عاش الى اواخر القرن السادس عشر

﴿منظوماتهُ﴾ هي كلّها مدائح وزجليات على طريقة العامَّة على اوزان وادوار وقوافٍ خاصَّة . نشر منها حضرة الكاهن اسين بلاسيوس عدَّة امثلة نقلنا شيئاً منها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ١٢٠٨–١١٠١) . وفي مخطوط مكتبتنا الشرقيَّة الذي اشرنا اليهِ خمسُ زجليَّات لعيسى هزار في اوَّل هذا المجموع (ص ١–٢٥) امَّا موضوع هذه الزجليَّات فمعظمها مدائح قالها في العذراء مريم والسيّد المسيح . دونك شيئاً من مديحهِ في قيامة المسيح :

بلّغني المسيح آمالي وغيرُهُ مخلّص ما لي
في يوم القيامه ذخري هو كنـزي وهو راس مالي
سيّدنا يسوع الباقي . في يوم القيامه ديَّان

(١) كان حضرة الخوري قسطنطين باشا ظنَّ أنَّهُ اشار عيسى هزار الى يواكيم ضو (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٢٨٧–٢٨٨) والصواب يواكيم زياده الذي سبق عهد البطريرك يواكيم ضو

في حُبّهِ بحور اشواقي   ماجت مثل موج الطوفانْ
في اعلى المراتب باقي   وسِرُّهُ سرى في الاكوانْ
مدحُ ابن البتول العالي   ودينُهُ المزيز الغالي
وامُّهُ عدّتي في حَشْري   تخفّف جميع اثقالي
هو النجم العظيم الزاهرْ   من قبرهِ تفيض الانوارْ
ودينُهُ الشريف الطاهرْ   كمَّل دين موسى المختارْ
ودعانا بنين القادرْ   وآمرنا بشدّ الزنّارْ
ذكرُه في الملا يُحْلي لي   واصلح جميع احوالي
فأفني في مديحه عمري   وارجوهُ في غدٍ يَبقى لي

ومن اقواله في العذراء مريم (على وزن يا من احرموني الديد الانام):

في العذرا النقيّة بروق النظامْ   خلوص البريْه وشمس الانامْ
الـدرّه المـضيّة مصباح الظلامْ   في الموقف شفاعه منها ارتجي
هي الستّ المطاعه   اليها التجي

ما احلى ذكر مريم في وسط القلوب   منها تجسّمْ ديّان الشعوب
يسوع المعظّمْ غفّار الذنوبْ   في يوم القيامه اليها التجي
هي النور والحمايه   والصوت الشجي

وهي طويلة وفي ما ذكرنا دليل على براعته في هذا الفنّ فضلاً عن مواطنه الدينيّة الشريفة ومعانيه الرقيقة اللطيفة

(له بقيّة)

رسالة للسمعاني

وهي بعض رسوم التقطها من المجمع اللبناني وانفذها

الى كهنة الرعايا وابناء الرعايا

عُني بنشرها القس انطونيوس شبلي اللبناني

مقدمة ناشر الرسالة

انهُ لما رأى السيد البطريرك يوسف بطرس ضرغام الخازن ورؤساء اساقفة الأُمة المارونيَّة ورئيس الرهبانيَّة اللبنانية العام ما تطرَّق الى التهذيب البيعي من بعض الخلل والتشويش اللذين أثَّرا في مسحة رونقهِ وجمالهِ القديم رفعوا في سنة ١٧٣٤ الى قداسة الحبر الروماني اقليميس الثاني عشر والى مجمع نشر الايمان المقدَّس عرائض يلتمسون بها ان يوفدَ اليهم نابغة زمانهِ السيد يوسف سمعان السمعاني المتألق الشهرة في عالم الشرق والغرب ليُعنى وأياهم في اعادة التهذيب البيعي في الكنيسة المارونيَّة الى سابق مجدهِ وازدهارهِ. فتنازل قداستهُ واوفدهُ اليهم مانحاً اياه التفويضات اللازمة ليجري باسم الكرسي الرسولي ما يقتضي اجراؤهُ على ما توحي حكمتهُ الرشيدة وفطنتهُ السديدة

وما درت الرهبانيَّة اللبنانيَّة بقدوم ممثل الحبر الاعظم حتى استقبلتهُ استقبالًا بالغًا اقصى درجات الأُبهة والجلال الذي يليق بمقام اعاظم الرجال فنزل اديارها على الرَّحب والسعة. وهبَّت اذ ذاك الى تذليل كلّ عقبة تعترض في سبيل انفاذ مهمَّتهِ خائضةً امامهُ غمار المعارك والمشاقّ في شخص رئيسها العام المقدام الاب توما اللَّبودي الحلبي لتُفسح لهُ مجالًا للبلوغ الى امنيَّتهِ مستنفدةً وسعها في تحقيق رغبتهِ العائدة بالخير العميم على بني ملَّتهِ

وما لبث ان تغلَّب القاصد السمعاني بأيد النعمة الالهية وعضد الرهبانيَّة اللبنانيَّة

على الصعاب التي وقفت في وجهه وعقد في سنة ١٧٣٦ جلسات ذلك المجمع الاثري التاريخيّ الخطير. وقد بلغت نفقة الرهبانية عليه وعلى السيد السمعاني سبعة آلاف غرش(١ في ذلك العصر. وتلك مأثرة جليلة بيضاء ودرّة لامعة حسناء للرهبانيّة اللبنانيّة في جيد تاريخ الأمة المارونيّة تُذكر لها بالفخر على وجه الدهر

ولما كان المجمع اللبناني من الاهمية بمكان والدستور الذي تعتمد عليه الأمة في طقوسها وترتيباتها البيعيّة نشط في هذه الآونة حضرة العلّامة الدكتور الخورسقف جرجس منش أحد اعضاء المجمع العلميّ الى وضع بحث حديث قانوني تاريخي انتقاديّ لم يطرقه احد من ائمة الأمة من قبل سمّاه «الحق القانوني عند الموارنة» دار فيه حول المجمع اللبناني واشبعهُ درساً وتنقيباً فوقع في مئة وثلاث وعشرين صفحة حافلة بفرائد الفوائد التاريخية مما دلّ على طول باعه وواسع اطلاعه في مثل هذه المباحث المفيدة التي لا يجيد فيها الكتابة سوى العدد القليل من العلماء الاعلام. ولم يُهِب به الإقدام على تقلية المجمع اللبناني وابانة ما انطوى عليه من المحاسن وما فرط فيه من الهفوات سوى استماتته في حبّ طائفته ورغبته في ان يستوفي هذا الكتاب الجليل شروط الحسن والكمال . وكفاهُ رفعةً وقدراً في العيون صدورهُ من قلم فخر الديار الشرقية وعلم الامة المارونية يوسف السمعاني الذي

«يفنى الزمان ولا يفنى له خبرٌ»

ولم تقف محبة السمعاني لطائفته عند حدّ نهاية هذا المجمع فحسبُ بل اندفع يحثّ الامة على الجري على سُنَنه والتقيُّد باحكامه . وقد أطلعنا حضرة المونسنيور الفضال عبدالله سعد رئيس مدرسة مار بطرس وبولس في مشموشة على كتاب خطي في علم اللغة نسخة القس اثناسيوس ابن الخوري حنّا الحاج السطاوي في ٢٥ ايار سنة ١٧٩٦م وقد أُضيف اليه في التجليد رسالة للسمعاني تحتوي «الرسوم التي تخص خوارنة الرعايا»(٢ اقتطفها من المجمع اللبناني وانفذها الى الكهنة المذكورين وذلك

---

١) طالع تاريخ الرهبانية اللبنانية ج ١ ص١٥٧و٢٣٨و٣٠٠ . ان للسيد السمعاني يوميّة (مذكّرة) في اعمال المجمع اللبناني وهي موجودة في خزانة الكرسي البطريركي ببكركي وقد وعد حضرة الخوري بولس قرألي بنشرها على صفحات مجلّته الدورية

٢) قد اشار السيد الذكر البطريرك بولس سعد الى هذه الرسالة بقوله: «ان السمعاني

بعد عقده بشهر . موجباً عليهم بالسلطان الذي خوّله اياه الكرسي الرسولي رعايتها والتقيّد بها . وقد شفعها برسالة اخرى « في الرسوم التي تخص الرعايا عموماً » وبثبت فيا يخصّ الكنيسة والمذبح والاواني والثياب المقدسة » وهي كلها بخط يده الطاهرة بالحرف العربي على ورق ابيض سميك ومصدّرة باسمه الكريم وختمه وموقّعة كل واحدة منها بخط يده ايضاً . وحرصاً على فوائدها رغبنا في نشرها على صفحات هذه المجلة التي تهتمّ خاصةً في شؤون الشرق كما صدرت من قلم مؤلفها بدون ان نصلح فيها كلمة اعراب . وهذه هي بحرفيتها :

المنسنيور يوسف السمعاني

قاصد الحبر الروماني الاعظم والكرسي الرسولي المقدس

(الختم)

البركة الرسولية والنعمة الالهية تحلّ وتستقرّ على انفس واجساد اولادنا الحوارنة الكهنة المتولين تدبير الرعايا المكرّمين حفظهم الله تعالى امين

وبعد نُعلم محبتكم اننا قطفنا من قوانين مجمعنا اللبناني المقدس هذه الرسوم التي تخصّكم ليتسهّل عليكم مطالعتها والسلوك بها . ونحن نأمركم بالسلطان الرسولي ان تصنعوا الاعتناء الكلي بقدر استطاعتكم في تكميلها فرداً واجمالاً ولا تتغافلوا من الرعايا الذين انتم مؤتمنون على سياستها واذ (واذا) تتمّمتم سعيكم الحسن المطلوب من وظيفتكم سوف تنالوا من راعي الرعاة المكافأة لاتعابكم الصالحة والبركة عليكم وعلى رعيتكم

اقتطف من السينودوس (اي المجمع اللبناني) بعض ارشادات الكهنة وغيرهم وأشهرها عليهم تحت امضايه وختمه في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦». (راجع بحثنا في المجمع اللبناني المنشور في ذيل كتاب «جامع الزمان» للاب بولس عبود ص ١٣٦ وما يليها)

الرسوم التي تخصُّ خوارنة الرعايا

(اوَّلاً) كل خوري رعية يجب عليهِ ان يحرّر في كتاب اسماء المعمودين واشابينهم واسماء المثبّتين واشابينهم واسماء المخطوبين والمزوجين واسماء الاموات وتواريخ يومهم وشهرهم وسنتهم

(ثانياً) يجب على الخوري انهُ كلَّ احد وعيد واجبة بطالتهم يجمع الاولاد والبنات صفوفاً في الكنيسة ويعلّمهم التعليم المسيحي بعد القدّاس او قبل صلاة المساء. وان ما امكنهُ ذلك فللاسقف ان يوكِل اناساً من الرهبان المجاورين المكان او من تلاميذ رومية لكي يعلّموا التعليم المذكور ويعظوا على الشعب المؤمن ويخدموا لهم سرَّ الاعتراف ولا يجوز للخوري ان يتعارض لهم اصلاً

(ثالثاً) يجب على الخوري ان ينبه في كل احد وقت القدّاس على رعيتهِ بالاعياد المأمورة بطالتها والقطاعات والصيامات والغفرانات الممنوحة من الكنيسة الواقعة في تلك الجمعة ومناشير السيد البطريرك واسقف الرعيَّة

(رابعاً) يجب على الخوري ان يكتب في دفتر اسماء الاعياد الخصوصيَّة لتلك الكنيسة. وان وجد عندهُ ذخاير قديسين يكتب ايضاً اسمهم في دفتر. وكذلك ان وجد عندهُ براءة غفران من قدس سيدنا البابا فليكتبهُ في دفتر ويعرضهُ على اسقف الرعية لكي يثبتهُ بخطهِ وختمهِ ولا يُشهر غفراناً إلّا ويعرضهُ اوّلاً على الاسقف

(خامساً) يجب على الخوري اذا وجد خصومة في رعيتهِ يجتهد في اصلاحها بكل قوّتهِ. وان عجز عن ذلك فليخبر اسقفهُ لكي يتلافى تلك الخصومة

(سادساً) يجب على الخوري ان يخبر اسقفهُ اذا وجد في رعيتهِ اناساً يتعاملون بانواع السحر والرقوات (الرُّقيات) والحروزات (الاحراز) وعَقد المتزوجين وما شاكل ذلك. وكذلك اذا وجد في رعيتهِ اناساً اراطقة او مشاقين يفسدون عقول المؤمنين الكاثوليكيين بتعاليمهم الرديَّة

(سابعاً) يجب على الخوري ان يحفظ سر الاعتراف حفظاً متمكناً تاماً بنوع ليس لا يكشف ويظهر بالقول فقط بل ولا بالاشارة او النتيجة ولا بكل ما يمكن

·الاطلاع عليه حلّ التايب او ما حلّهُ وذلك لازم من باب الناموس الطبيعي والكنائسي والالهي

(ثامناً) يجب على الخوري ان يعلم الخطايا المحفوظة للسيد البطريرك وهي : خطية جحد الايمان الظاهر ·واستعمال الامور المقدسة في السحر ·وضرب روساء الكهنة ·ومنع روساء الكهنة والكهنة عن التصرُّف في رعاياهم . وكذلك يجب عليه ان يعلم الخطايا المحفوظ حلّها لاسقف الرعية وهي : قتل الناس قصداً . وخطية المرابين ظاهراً .

(تاسعاً) لا يُسمح للخوري ان يخدم سرّ الاعتراف في مكان لم يكن معهُ الاذن في ذلك من السيد البطريرك او من اسقف الرعية او خوريا

(عاشراً) يجب على الخوري ان يُفهم القوابل والدايات ما هو ضروري لعماد الاطفال لكيلا من قبيل كسلهنَّ ونقص معرفتهنَّ يموت الطفل بغير عماد او يُعمَّد عماداً باطلًا لنقص جوهري ·فلذلك يجب عليه ان يعلمهنَّ مادَّة العماد وما هي صورتهُ وكيف تدبيرهُ واستعمالهُ وينبّههنَّ خاصةً ان في عماد الطفل لا يقلنَ «انا ارشك باسم الآب الخ» ولكن «انا اعمدك بسم الآب والابن والروح القدس»

(الحادي عشر) يجب على الخوري ان يهتمّ بعماد الاطفال اهتماماً كلياً ويعمدهم بعد ولودتهم بايام قليلة كنحو ثمانية ايام واقلّ بحيث لا يلحق المعمود ضرر لئلا تدهمهُ مصيبة فيموت بغير عماد ·وان كان تأخير عماد الطفل من الوالدين لا من الخوري فالخوري يشكوهما لاسقف الرعية

(الثاني عشر) لا يعمد الخوري طفلًا في البيت من غير ضرورة ولكن ليكن عماد الاطفال في الكنيسة بالترتيب الكامل ما لم تدعو الضرورة لخلاف ذلك

(الثالث عشر) لا يسمح الخوري ان تكون الاشابين في المعمودية والتثبيت اناساً غير مؤمنين او اراطقة او مشاقين او محرومين او مربوطين بلايمات كنائسية

(الرابع عشر) لا يجب ان يتأخر قبول سرّ التثبيت كثيراً بعد البلوغ فلذلك على الخوري ان ينبه اسقف الرعية على النير مثبَّتين ولكي يثبّتهم وهو يعلّمهم اولًا قواعد الايمان ومادَّة التثبيت وصورته ومفعولاته

(الخامس عشر) ليحترس الخوري عند طلبه واخذه الميرون المقدَّس بان لا يترك

رعيتهُ بغير قدَّاس ولا يفارقها إلَّا بشرط انهُ يوكل كاهناً مكانه ليخدم الاسرار عنهُ او يوسل يأخذ الميرون عوضه . وكذلك متى دعت الضرورة ان يفارق رعيتهُ قصداً لزيارة السيد البطريرك او اسقف الرعيَّة او لاجل قضاء شغل ضروريّ فليوكل كاهناً مكانه الى ان يرجع

(السادس عشر) لا يجوز للخوري تقدمة القدَّاس الالهي في البيوت إلَّا عند الضرورة . وان دعت الضرورة الى ذلك فليلاحظ المكان ان يكون نظيفاً ومنفرداً من العيلة والدوابّ بقدر الامكان

(السابع عشر) يجب على الخوري ان يكون خبيراً بالطقوس والرتب الكنائسية عموماً . وليمتحنهُ اسقف الرعيَّة قبل رسامته . وليعيّن كهنة حاذقين ليرشدوا الساذجين

(الثامن عشر) يجب على الخوري ان يعتني الاعتناء الكليّ ان تكون الكنيسة وكسوة المذبح والثياب الكهنوتية جميعها واواني التقديس ظريفة نظيفة غير ناقصة شيئاً من الواجب وكسوة المذبح والقميص والمصنفة (المنصفة) فليغسلها اقله مرة بالشهر . واما السنجة والقنديل وقناني المزجه (المزكى) فليغسلها مرتين بالشهر

(التاسع عشر) يجب على الخوري انهُ يحاسب ذاتهُ في آخر كل سنة هل وفى إجرة القداديس التي أُخذها من المؤمنين ليقدّس بها من الاحياء والاموات فان بقي منها شي . فليدفعها الى غيره كهنة من الطائفة ليوفيها عنه

(العشرون) يجب على الخوري ان يلاحظ وقتاً موافقاً لحضور الشعب القدَّاس في الآحاد والاعياد لاسيا في ايام الحصاد والزرع والتزّ . ففي مثل هذه الحوادث للخوري ان يقدّم او يؤخر نظراً على نفع الرعيَّة بعد ان يعرّفهم الوقت المذكور

(الحادي والعشرون) لا يجوز للخوري ان يترك رعيتهُ بلا قدَّاس نهار الآحاد والاعياد ويمضي الى قدَّاس او جنّاز ميت ان لم يترك مكانهُ كاهن غيره يقدس لهم

(الثاني والعشرون) يجب على الخوري ان ينبّه على رعيته ان لا يخرج احد من رجال ونساء من الكنيسة وقت القدَّاس في الآحاد والاعياد إلَّا عند تمام القدَّاس بعد بركة الكاهن وتسريحه الشعب . واذا كان زحمة يخرجون النساء ثم الرجال ان كان للكنيسة باباً واحداً

(الثالث والعشرون) يجب على الخوري ان يلاحظ خمر التقديس ان يكون خمرًا جيدًا ويتحفظ من ان يكون مخلوطًا بمواد غريبة او فاسدة ولا يكون مسطارًا اي معصورًا حالًا من العنب إلّا عند ضرورة بالغة بالغاية وعند عدم وجود الخمر المعصور كالعادة

(الرابع والعشرون) يجب على خوري الرعية ان يحفظ القربان المقدَّس لاجل المرضى في كنيسته حيث لا يكون خطر الاهانة به من يد الغير مؤمنين . وليكن داخل بيت ظريف لطيف وامامهُ القنديل واحد يضي. ليلًا ونهارًا وباب بيت الجسد مقفولًا باستيثاق والمفتاح بيد الخوري. ولا يكون الاناء الموضوع فيهِ القربان من خشب ولا من زجاج ولا من برونز بل من ذهب او فضة او من قصدير او نحاس مطلي داخل ذهبًا وفي كل جمعة في الصيف وفي كل جمعتين في الشتاء يتناول الكاهن القربان العتيق ويضع مكانه قربانًا جديدًا. وكذلك يجب عليهِ ان يحفظ في طاقةٍ تحت قفل بالقرب من المذبح آنية الزيوت المقدَّسة . اي زيت العماد والميرون المقدَّس وزيت مسحة المرضى . وكل واحد من هذه الزيوت فليكون في وعاء نظيف من فضة او من قصدير او تنك متميزًا عن غيرهِ

(الخامس والعشرون) واذا حُمل القربان المقدَّس الى بيوت المرضى فليحملهُ الكاهن بعبادةٍ لائقة صحبة الاكليروس والشعب وشمع مضي ومبخرة امامهُ بما يناسب المكان والزمان. وليسبق الخوري يوصي اهل المريض بنظافة المسكن وان يهيّوا هناك مايدة عليها كتّان ابيض نظيف يضع فوقها جسد الرب مع شمعتين مضيئتين

(السادس والعشرون) يجب على الخوري ان يحرّض الاحتراس الكلي في ان اهل رعيتهِ يحضروا القدّاس وصلاة الصبح والمساء في الآحاد والاعياد. وكذلك يهتمّ في ان كل واحد من المؤمنين رجالًا ونساء بعد بلوغهِ سنّ المعرفة يعترف عند الكاهن في السنة اقلَّهُ مرَّةً واحدة اعترافًا خالصًا. ثمَّ يتناول سرَّ القربان باحترام اقلَّهُ في عيد الفصح وذلك من احد الشعانين الى احد الجديد. ومن اهمل هذه الوصيَّة الكنائسيَّة فليشهر امرهُ الى اسقف الرعيَّة والاسقفُ بعدما ينصحهُ اولًا وثانيًا وثالثًا ان ما انتصح وكمّل وصيَّة الكنيسة فليشهر حرمهُ الكبير في عيد السيدة في الخامس عشر

يوم من شهر آب

(السابع والعشرون) ليعتني الخوري في وعاء الماء المبارك داخل باب الكنيسة ويجدد باب تبريك الماء كل اسبوع مرة ويلاحظ نظافته

(الثامن والعشرون) يجب على الخوري ان يعتني الاعتناء الكلي في زيارة المرضى ويناولهم سر الاعتراف والقربان الاقدس والمسحة الاخيرة . واذا تكاسل في ذلك ومات احداً من رعيته بغير سر من هذه الاسرار الثلاثة المقدسة فليقاصصهُ الاسقف اصرم مقاصصة . ولاجل ذلك لا يجوز للخوري ان يترك الرعية ويمضي الى غير مكان ان لم يوكل كاهناً موضعهُ

(التاسع والعشرون) يجب على الخوري ان لا يسمح لاحدى من النسا ان تترك استماع القداس يوم الآحاد والاعياد كانت مخطوبة او عروساً او فارحة او حزينة

(الثلاثون) لا يسمح للخوري ان تتم خطبة او زيجة إلَّا بعد ان يُوخذ من البنت رضاها باقرار فمها بحضوره ويحرّر ذلك امام شاهدين او ثلاثة

(الحادي والثلاثون) يجب على الخوري ان يعلم جيداً ما هي موانع الزيجة بالقرابة الطبيعيَّة والروحية . وتُحفظ في ذلك رسوم المجامع المقدسة والاحبار الرومانيين بما سمحوا بتحليله لا اكثر وما حرّموه لا اكثر . ولا يعقد الخوري خطبة او زيجة بدرجة من الدرجات المحرّمة ما لم يكن اخذ سابقاً منشور التحليل من السيد البطريرك او اسقف الرعية

(الثاني والثلاثون) يجب على الخوري ان لا يعقد خطبة إلَّا انيكون المخطوبان بلغا العمر القابل الزيجة بعد سنتين بموجب القوانين الكنائسيَّة لا اكثر . وليعتني الاعتناء الكلي ان يتمّ عقد الزيجة بعد الخطبة بالزمان المحدود . وهو ان البنت تكون بلغت الاثني عشرة سنة والابن اربعة عشرة سنة . واذا طلب احد عقد الخطبة ام الزيجة بخلاف ما ذكرنا فليشهر امرهُ الى اسقف الرعيَّة

(الثالث والثلاثون) لا يصلي الخوري صلاة اكليل العرسان إلَّا في الكنيسة حسب الامكان ولا ذلك إلَّا بعد اعترافهم وتناولهم الاسرار المقدسة

(الرابع والثلاثون) اذا دفع احد دراهم على بنات الناس للمتعدين او المشايخ او الحكّام المسيحيين او الغير مسيحيين فلا يجوز للخوري ان يصلي صلاة الاكليل

او صلاة الخطبة بل يجب عليه ان يشهر هذا الامر لاسقف الرعية

(الخامس والثلاثون) يجب على الخوري ان يعلم ان لا تجوز زيجة النسا من طايفتنا المارونية لغير طايفة شرقية ولو كانوا كاثوليكيين إلّا لطايفة الافرنج الرومانيين وخدمهم(١) . واذا طلب احد الخطبة او الزيجة بخلاف ذلك فليشهر امره لاسقف الرعية

(السادس والثلاثون) يجب على الخوري ان لا يسمح بدفن الميت سريعاً لاسيما ان مات فجأةً لئلا يشك به انه حي بعد ولم يمت

(السابع والثلاثون) يجب على الخوري ان ينبه اهل الميت بان البكا والتولول والندب لا يفيد الموتى. وان النوح والصراخ الزايد الحد في ذلك هو مرذول مستحق فاعله المنع من الكنيسة. وليجتهد الاجتهاد الكلي ان يبطل هذا الصراخ الزايد الصادر من اهل الميت وعيه كان ذلك قبل الجناز عند حمل الميت او في الجناز او في الدفن

(الثامن والثلاثون) يجب على الخوري ان يستعمل سيف الحرم والمنع بافراز واحتراص حريص ولا ينادي بذلك إلّا بعلم اسقف الرعية سابقاً ولاجل ضرورة بالتة. ولاجل امر باهظ ثقيل وبعد الفحص البليغ والنصيحة اولاً وثانياً وثالثاً

(التاسع والثلاثون) يجب على الخوري ان يكتب في دفتر كلّ اثاث الكنيسة من كتب واواني التقديس وشماعدين وقناديل وثياب كهنوتية وكسوة المذبح وغير ذلك. وايضاً يحرّر في دفتر جميع ارزاق الكنيسة من اراضي واشجار ومواشي وما شاكل ذلك. ويحترص في حفظ التمسكات والحجج والدفاتر ولا يبيع او يهب او يجيز شيئاً من الارزاق والامتعة المذكورة. ولا يسمح لاحد ان يضع يده على ارزاق الوقف كايناً من كان

(الاربعون) يجب على الخوري ان يحفظ عنده هذه الرسوم ويدرسها ويتعلّم منها الامور التي يحتاج اليها. ولاسقف الرعيّة له ان يطالب الخوارنة في تكليفاتهم

---

(١) انّ الزواج حاضراً مسموح به بين الطوائف الكاثوليكيّة الشرقيّة والغربيّة على سواء بشرط ان تُراعى احكام الكنيسة. ولعلّ السمعاني قال ذلك لعدم قبول بعض الطوائف الكاثوليكيّة احكام المجمع التريدنتيني بخصوص الزواج الخفي

افراداً واجمالاً ومن رآه متكاسلاً متغافلاً عن حفظ رسم من هذه الرسوم فليقاصصهُ المقاصصة الكنايسيَّة

تحريراً في دير سيّدة لويزة في بلاد كسروان من جبل لبنان في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٧٣٦ مسيحية . صح

خثم السمعاني

المسألة السورية

نظر انتقادي لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

انَّ عنوان هذه النبذة هو تعريب عنوان افرنسيّ لكتاب صنّفهُ مؤخَّراً الكومندان كابديجال(Cnt Capdejelle) حاكم ولاية بيروت وسنجق الاسكندرونة سابقاً والشيخ عزيز الهاشم المحامي قديماً(١) واضافا الى العنوان السابق ما حاولا البحث عنهُ اعني ايّ حكم يصلح لسوريَّة أحكمُ التفرُّد ام الاتحاد؟ اجمهوريَّة ام ملكيَّةٌ؟ أانتداب ام محالفة؟ فيجثان اذن عن الحكومة الموافقة لولايات سوريَّة أيفضّل لها ان تنفرد هذه الولايات بأحكامها او ترضخ لحكم واحد سواء كان جمهوريَّةً ام ملكيَّة انتداباً ام تحالفاً وهما يقضيان بانَّ الافضل لسوريَّة ان تخرج كلّ ولاياتها ويُلقى لبنان الكبير فيعود الى حدودهِ السابقة للحرب. على انهما يرضيان بان تبقى بيروت عاصمةً للبنان الصغير على شرط ان تكون مدينةً حرَّةً ومرفأها مطلق (ص ٨٦ الخ)

وكذلك صرَّح الكاتبان بان الحكم الموافق لسوريَّة هو الحكمُ الملكي ويُلمِّحان باشارةٍ خفيفة الى مختارهما سعادة الداماد تامي بك وهو تلميح لا يخلو من

(١) دونك الاسم بتفاصيله: LA QUESTION SYRIENNE: Séparailon ou Fédération ?: République ou Monarchie ? Mandat ou Alliance. *Beyrouth, Impr. Gédéon, 1927, in-12, pp. 111*

غرض في النفس وعلى رأينا كان الاولى بالكاتبين ان يضربا الصفح من اي مختار كان لئلا ينسبها القرّاء الى غاية شخصية. ثمّ يتفضلان على الانتداب معاهدة تُعقد بين سوريّة وفرنسة يكون مرجعها الى لائحة ذات عشرة بنود حرّرها نامي بك ونشرها في العموم في تاريخ ١٧ أيار من العام الماضي ١٩٢٦ . هـذه هي محتويات الكتاب الذي نحن بصدده. ويرتأي الكاتبان انّ القضايا التي يدافعان عنها لها الفضل على سواها وينتظران من تحقيقها احسن النتائج لخير فرنسة وسوريّة معاً (ص ٦٢ الخ)

***

دعنا نمسل نظر الانتقاد في هذه النشرة الجديدة وانّما نقصر هذا النظر على ما فيها من الملحوظات التي يزعم الكاتبان انها مدعومة على احكام تاريخيّة وجغرافيّة دون ان نتعرّض لما في تأليفها من الاعتبارات السياسيّة . والحقّ يقال انّ الادلّة التي استندا اليها ليست بذات شأن وانني لكنتُ استغنيتُ من انتقادها لولا انها نقلا عن تأليفي الحديث في تاريخ سوريّة قطعةً طويلة نشراها تأييـداً لآرائهما كأني أُجاريهما على مزاعمها. اني في كتابي المذكور(La Syrie I 1-9) قد بيّنت انّ العناية الربّانيّـة قد جعلت لسوريّة حدوداً واضحة. على انّ تلك الحدود الخارجة التي كان من شأنها ان تساعد على توحيد الوطن قد حال دونها في باطن البلاد موانع طبيعيّة متعدّدة خالفت تلك الوحدة وسبّبت الشقاق وعارضت التضامن الوطنيّ وعزّزت روح التفرّد والاعتزال في المواطن الخاصّة. وهذا يلوح من سائر موادّ كتابي في تاريخ سوريّة . فان الشقاق والانفصال والتقاطـع كلّ ذلك من الأدواء التي غلبت على سوريّة وعشّشت في احشائها. فلم ازل أُثبت ذلك بما كنت اوريه من اخبار البلاد

ان سوريّة لم تعهد قطّ الوحدة إلّا تحت حكم دولة اجنبيّة كالسلوقيين والرومان والعرب ومماليك مصر والاتراك . . واذا عُهدت اليها مقاليد امورها عادت الى اميالها الموروثة من اجدادها اعني الى تقسيم ولاياتها فانّ اهل سوريّة الساكنين في سواحل البلاد كانوا في كلّ اطوار التاريخ منذ عهد الفينيقيين يتصرّفون بامورهم مستقلّين عن السوريّين القاطنين في داخليّة البلاد. ولا نجد اثراً ينبئ على السعي بالاتّحاد وعلى إزالة ذلك الحاجز الضخم الذي يفصل القسمين اعني لبنان الساحلي ولبنان الشرقي . فأن سكّان السواحل كانوا يوجّهون نظرهم الى البحر والى جهات الغرب. بينا كان

الداخليون ينظرون الى الشرق والى البوادي. حتى انهُ يصحّ القول بانهما كانا يعيشان ظهرًا الى ظهر بدلًا من المواجهة والمصافحة

نعم اني قلتُ (La Syrie I, 5) انهُ يوجد عنصر سوريّ وانَّ هذا العنصر لهُ وحدتهُ وميزتهُ وسحنتهُ التي تفرزهُ لاوّل وهلةٍ من سواهُ من المصريّ ومن العربيّ ومن الاناضوليّ ومن العراقي . أكّدتُ ذلك ولا اغيّر شيئًا من قولي. فاني رأيتُ ولا ازال على رأيي بان وحدة هذا العنصر السوري قد تقوّت بحيويّتها وثباتها وقوّتها على ضمّ العناصر الاجنبيّة من الامم التي امتزجت بها الى جنسيّتها كالعرب وغيرهم ولاسيا العرب (La Syrie I, 6) الذين يحاول البعض ان يترجموهم بالسوريين . فان العرب الفاتحين للشام لم يغيّروا العنصر السوري بل هم بالاحرى نالوا من ميزتهِ

امّا دخول اللغة العربيّة بين السوريين فذلك لا علاقة لهُ مع هذا التغيير الجوهري فانهُ ليس من امّة إلّا وقد غيّرت لسانها مرّةً على الاقلّ في اطوار تاريخها كفرنسة مثلًا. ايا تُرى لو شاعت اللغة التركيّة في سوريّة في مدّة الاربعة الاجيال التي دام عليها حكم بني عثمان أكان يجوز ان يقال عن السوريين انهم من العنصر التركي التتري؟. ثم لا نسلّم بشيوع اللغة العربية بين اهل سوريّة منذ القرن السابع كما زعم المؤلفان (ص ٨) فانَّ هذه اللغة اخذت في القرن العاشر فقط تتجاوز حدود المدن بل ثبتت اللغة السريانيّة في بعض انحاء الجبل الى القرن السابع عشر فاستمرّت في بعض القرى كلغة الاهلين الوطنيّة

مرَّ علينا نيّف وعشرون سنة اذ اثبتنا في الشرق انَّ الروم الملكيين ليس اصلهم من اليونان بل هم وطنيّون من سوريّة كما انّنا بيّنّا ان الموارنة ليسوا مردة اعني من اصل غريب عن سوريّة من جهات الاناضول بل هم سوريّون ايضًا وطنًا. . وكذلك خالفنا الزاعمين بان السوريين عربٌ فجوابًا على كلّ المعاكسين لم نزل نثبت للسوريين جنسية قائمة بذاتها ليس لهم ما يحسدون عليه غيرهم لشرف اصلهم ومآثرهم . فلم نألُ جهدًا في الدفاع عن رأينا هذا حتى في عهد المراقبة التركيّة الصارمة مصرّحين بتلك الوحدة العنصريّة على اختلاف النزعات والاديان وعلى الرغم من الانقسامات والتحزّبات الباطلة . وبفعلنا هذا قد خدمنا الوطن خدمة اعظم من الذين كانوا يدعون باصل غريب ومهّدنا السبيل للوفاق واتحاد القلوب غير مكترثين لبعض كتابات مُرّة

كُثرت وقتئذٍ لتئيد رأينا

وهاك اليوم قد انقلبت الامور فترى بعض الروم ضاربين الصفح عمّا ادّعوهُ من الاصل اليوناني يزعمون انَّ اصلهم من عرب غسّان وهو زعم غريب. ويبني القائلون بهذا الرأي انَّ بني غسّان كانوا على مذهب اليعاقبة مخالفين للملكيين فضلاً عن انَّ كثيرين منهم بعد فوز الاسلام انتقلوا الى بلاد الروم او دانوا بالاسلام فاين كل ذلك من هذا المزعم الغريب بان الروم الملكيين اصلهم من عرب غسّان

قلنا أننا لا نريد الخوض في المسألة السياسيّة التي تحرَّى مؤلفا هذا الكتاب اثباتها اذ يزعمان بانَّ معظم السوريين من مسلمين ونصارى ولبنانيين وفرنسويين في الشام يوافقونهما على رأيهما (ص ٣) في توحيد الحكم في ولايات سوريّة. وانّا نؤكد لهما انَّ استنادهما الى الادلة التاريخيّة والجغرافيّة باطل لا اساس له. نعم كلنا نرغب في الاتحاد وليس احد ينكر ذلك وانّما سيأتي هذا الاتحاد عفوًا بعد اتحاد العقول وتوافق الافكار. امّا الآن فنحن بعيدون من هذا الاتحاد الاساسيّ. فمن يا تُرى يصدّق على ما كتبهُ المؤلفان في كتابهما (ص ٢٢) بان الاختلاف بين النصرانيّة والاسلام نَزْر زهيد فضلًا عن كونهما يُدخلان الدروز والنصيريين (١ في عداد المسلمين. فكل هذه المزاعم مخالفة لحقيقة الامور. فان المبدأ الفلسفي يقول: انَّ من جاوز الحدود في اثبات رأيهِ نقضهُ. وهذا على ظنّي اكبر اعتراض يمكننا ان نوجّههُ لمؤلفي كتاب المسألة السوريّة. على اننا نوافقهما في دحضهما للنظام الشوروي ولسوء عقباهُ (ص ٣١ و٣٧)

تعميم الاصطياف في لبنان

نظر اجتماعي اقتصادي للاب لويس شيخو اليسوعي

اقترح احد افاضل الوطنيين ادمون افندي بليبل على ادبائنا المفكرين ان يشحذوا

---

١) والكاتبان يدعوان النصيريين (ص ١٦ و١٨) زرادشتيين (Zoroastriens) وهو زعم غريب تبعا فيه رأي الدكتور سُمْث في كتابهِ عن سوريّا. وقد نقلا عن هذا الكتاب آراء أخرى ليست افضل من هذا الرأي

غرب ذهنهم فيكتبوا فصلاً يعرضون فيهِ ما يعنُّ لهم من الوسائل لتعميم الاصطياف في لبنان وتحبيبهِ تحبيباً حياً ظاهراً ، وجعل للفائز في هذا السباق جائزة سنيَّة آهلة بالكتبة المبرّزين ألا وهي قلم حبر مذهَّب . فتمم الاقتراح الذي نحضّ كل ادبائنا على تلبيتهِ . فانهُ اجود موضوع يمكن لأدباء الوطن ان يخوضوا فيهِ

وقد راقنا هذا الاقتراح فاحببنا ان نفرد لهُ بعض صفحات المشرق ليس رغبةً في جائزة أيةً كانت بل لمجرّد خدمة الوطن العزيز

***

وقبل كلّ يجب ان نذكّر الوطنيين عموماً واللبنانيين خصوصاً بالنعمة العظيمة التي خوّلها الله بلادهم وقلّما حظيَتْ بها غير مواطنهم . فلو طفتَ الشرق الأدنى من حدود العجم والعراق شرقاً الى جهات الاناضول غرباً ومن سواحل البحر المتوسّط شمالاً الى ضفاف الفرات ودجلة جنوباً هيهات ان تجد جبلاً جامعاً لمحاسن لبنان وخواصه الفريدة . بل قلّما تجد في الاصقاع القريبة واقاصي البلاد ما يشبهُ لاشتمالهِ على كل اوصاف المقامات الصحيّة

فمن خواصهِ الفريدة انهُ واقع قريباً من سواحل البحر مجاورٌ للمدن العامرة حافلٌ بالسكّان ذوي التمدُّن الراقي ذو مناطق مختلفة من سفلى ووسطى وعليا يجد فيها المصطافون ما يتوقون اليهِ من مرافق طبيعيّة كالمزروعات والبقول والاشجار المثمرة والكروم وغابات الارز والصنوبر والعفص والشربين والانهار الجارية والمياه الصافية الباردة والهواء المعتدل النظيف منهُ البليل في الجهة المواجهة للبحر ومنهُ الناشف في الجهة المشرفة على البقاع

فهذه الخواصّ وغيرها من شأنها ان تبعث في قلوب اللبنانيين عواطف الشكر لذلك المُنعم الثان الذي منهُ تصدر كل موهبة صالحة . وقد عرف هذه النعمة اجدادهم الذين تمتّعوا في جبالهم بالبنية القويّة والعمر الطويل وكثيراً ما تحصّنوا فيهِ في وجه اعدائهم

وكذلك الامم السالفة قصدت لبنان لتحظى ببعض لذّاتهِ والدليل على ذلك ما خلفوهُ من آثارهم البابليّة والمصريّة واليونانيّة والرومانيّة في انحائهِ فتجد في عدّة اماكن

بقايا هياكلهم وقصورهم وقلاعهم ونقوشهم على الصخور وكتاباتهم تشهد كلّها على اعتبارهم لهذا الجبل الجليل

وكفى به فخرًا ان الانبياء كرّروا ذكرهُ في اسفار وحيهم . فتارةً يطرئون ارتفاعهُ وعظمتهُ وتارةً يتغنّون بجودهِ ومحاسنهِ . وحينًا يصفون ما يكسوهُ بهِ الشتاء من بردتهِ البيضاء وما يسيل منهُ من فائض الانهار وطورًا يخصّون بالذكر ارزهُ ونباتاتهِ العطريّة . وقد ترجح انّ السيّد المسيح قطعهُ يوم سيرهِ من تخوم صيداء الى المدن العشر (راجع المشرق ١١[١٩٠٨]: ٨١ـ٦٢) . هذا وليس لبنان نعمةً لسكّانهِ فقط بل هو ايضًا نعمةٌ مشكورة للبلاد المجاورة لوقوعهِ في وسطها على مسافة بضع ساعات منها بفضل البواخر والسكك الحديديّة والعجلات والسيّارات التي تُغني اهل تلك الاصقاع عن الاسفار الطويلة والنفقات الباهظة

فترى ما يجديه لبنان من الخيرات لاهلهِ وقاصديهِ . وذلك كلّهُ بفضل الطبيعة

ولعلّ سائلًا يسأل ان كان لبنان قد جمع كل هذه المحاسن فكيف جرى انهُ بقي مدّة اجيالٍ طويلة مهملًا خاملًا لا يسكنهُ غير اهلهِ وكاد يجهلهُ الغرباء فلم يقصدهُ غير افرادٍ معدودين منهم لاسيا في هذه السنين الاخيرة . فهذا السؤال يدفعنا الى الخوض في البحث الذي اقترحهُ الاديب ادمون بليبل . فانّ مرجعهُ الى بيان ما طلبهُ اعني ما هي الوسائل لتعميم الاصطياف وتحسينهِ فنقول: للاصطياف شروط ان لم تتمّ حاد عنهُ طالبوهُ وأنفوا منهُ كما جرى في القرون السابقة اذ تناضى الغرباء عن قصد لبنان لخلوّهِ من تلك الشروط . والشروط المشار اليها ثلثة : تتناول اوّلًا امكنة الاصطياف . وثانيًا دُعاة الاصطياف . وثالثًا اشخاص المصطافين

١ امكنة الاصطياف

رأيت ان لبنان في مناطقهِ المختلفة ومواقعهِ المتباينة بمجرّد فعل الطبيعة يصلح للاصطياف . لكنّ الخالق لم يشأ ان يستكمل فعل طبيعة ولذلك ترك لهمّة خلائقهِ ان يبتنوا على عملهِ ويزيّنوا الطبيعة بما يقرّب منافعها ويشوّق الى اجتناء ثمارها

﴿واوّل﴾ ما تحتاج اليهِ بلاد الاصطياف الامان التامّ لان المصطافين لا يقصدون مواقع الاصطياف إلّا لترويح نفوسهم وراحة اجسادهم بعد الاشغال المضنكة

والاتعاب التي قاسَوها في معاملاتهم وصنائعهم. وشتَّان بين الراحة والقلق الذي يعلّلهُ قلّة الامان بسبب الاضطرابات والمنازعات والقلاقل. وهذا من اخصّ الاسباب التي تتمع الاقبال على الاصطياف. ومن ثمَّ لا امل لتوطيد الاصطياف وتعميمهِ دون قطع دابر كلّ الفتن والثورة والضرب على عضد كل من يعكر صفاء مياه السلام

ثمَّ يجبُ المصطافون «ثانياً» ان تتصل امكنة الاصطياف بالمدن الساحليَّة العامرة ليسهل عليهم الصعود اليها والنزول منها وذلك ممَّا يستدعي فتح الطرق الواسعة المؤثَّرة الخالية من خطر المنعرجات وعراقيب الجبل والاكواع. وبواسطتها تأتيهم بنظام محمولات البريد من مكاتبات ومنشورات مختلفة تجاريَّة وادبيَّة وصحفيَّة توقفهم على اشغالهم في وطنهم وعلى الحوادث العموميَّة في العالم ليحيطوا بها علماً ويتصرَّفوا بوجبها في معاملاتهم

ثمَّ «ثالثاً» يجب ان تكون امكنة الاصطياف مجهَّزة ببيوت حسنة لسكنى المصطافين امَّا بيوت خاصَّة وامَّا انزال عموميَّة وفنادق تكون غالباً موثَّثة باخصّ ما يحتاج اليهِ عموم المصطافين. فتُبنى تحت مراقبة مهندسين بارعين يحسنون تنظيم الغرف للشغل والمنام والاكل مع ديوان لاستقبال الزائرين وفتح منافذ للهواء والنور واختيار موضع موافق للطباخة وللمراحيض مع تجهيز الادوات للماء الشروب وللغسيل والاستحمام

ولهناء المصطافين يُشتهى «رابعاً» ان يكون في مكان الاصطياف وجوارهِ ما يدعوهم الى التجوُّل في الخلاء قرية الاصطياف كالمسالك غير الوعرة والمقاهي المجهَّزة بالمشروبات البسيطة والمآكل المرتبة الطيبة وكبعض الحدائق ذات المناظر الجميلة ثمَّ ينارون بالكهرباء ليلاً وعلى الاقلّ بالغاز او البترول

٢ً دُعاة الاصطياف

دُعاة الاصطياف هم اولاً الذين يسعون خارجاً من سوريَّة الى ترويج الاصطياف في لبنان ثم ثانياً الاهلون الذين يرجون منهُ

١ لا نعرف اليوم سُعاة لترويج الاصطياف في غير القطر المصريّ فهناك شركة منظَّمة أتت بعمل خطير خدمت بهِ الوطن افضل خدمة فلا يسعنا إلّا ان نوجّه الى

صاحبها الهمام ومديرها العام جناب حيدر بك الملوف الشكر العميم باسمنا وباسم جميع اللبنانيين لما تولاه من انشاء هذا المشروع الجليل وتمكينهِ على اساس متين واستيفاء كلّ شروطهِ . ولم يثبطهُ عائق عن تبليغهِ غاية ما يرومهُ المصطافون فلهُ الوكلاء المتعدّدون في مصر وسائر انحاء الشام ولبنان يقومون بسائر حاجات المصطافين في ركوبهم البحر وانحدارهم الى اساكل الشام او في سفرهم برّاً في السكك الحديديّة او على السيّارات . وقد اتّفق في كل ذلك مع الشركات البحريّة والبريّة . بحيث لا يبقى همّ لطالب الاصطياف في ذهابهِ وايابهِ اذ يجد حيثما يحلّ وكلاء شركة الاصطياف مستعدّين لخدمتهِ فينجو من تحت العُمّال وقحة النوتيين ولرتباكات الجمارك والمخافر مع تسهيلات لنوال جوازات الاسفار

ومن حسنات الشركة دليلها السنوي البديع تضمّنهُ كلّ المعلومات التي لا غنى منها للمصطافين بينها المقالات اللطيفة في وصف لبنان جغرافياً وتاريخياً وادبياً واقتصادياً مع ما يزينهُ من التصاوير الجميلة

وقد يتناول اهتمام هذه الشركة الكريمة فضلاً عن مصر بلاد السودان وفلسطين . وليس بعيداً من همّتها ان تبسط نظرها الى العراق والجزيرة وانحاء الاناضول فتُعرف في كلّ هذه البلاد كالملتة الرسميّة للاصطياف في لبنان فيتمّم الاصطياف ويضحي الجبل مقصد كلّ الشرق الادنى

امّا الغرباء الاجانب فتخدمهم وفقاً لغاياتهم اذا قصدوا السياحات فتقدّم لهم الراحة ليتجوّلوا معهم في انحاء الجبل وسوريّة . ويسرّنا ان نذكر احدهم الاديب اسكندر يوسف الحائك الذي انشأ سنة ١٩١٨ اوّل شركة لبنانيّة للنقل والتسفير في لبنان وسوريّة وفلسطين والعلويين والعراق فهذه الشركة بِنْتُم الشقيقة لشركة الاصطياف من شأنها ان تساعد ايضاً في ترويج الاصطياف كما ان شركة الاصطياف كثيراً ما تطلب للمصطافين التجوُّل في البلاد

٢ ولكن الاصطياف لا يتوقف فقط على الشركة التي نوّهنا بذكرها بل يترتّب ايضاً قسمٌ من واجباتهِ على الاهلين الذين يحلّ بينهم المصطافون وفيهم يصحّ قول المثل «الجار قبل الدار» . فانّ المصطافين اذا حلّوا في مكان لا يهنأ لهم المقام ما لم يجدوا في جيرتهم قوماً يأنسون بعشرتهم فلا يعيشون بينهم كغرباء بل كأصحاب

وهذا لا يتمّ لهم إلّا اذا سعى الاهلون بالتقرُّب من المصطافين وليس الامر بالمستحيل وقد جعلت الطبيعة رابطةً حسنة بينهم ألا وهي لسانهم فانَّ اللغة العربية التي يتكلّم بها معظم المصطافين هي افضل وسيلة لتقرُّب القلوب. واذا تناجى الفريقان استفاد كلّ فريق من الآخر. فاذا احتاج المصطاف الى خدمةٍ امكن اللبنانيّ ان يؤدّيها له فيربح جميلهُ. كما انَّ اللبناني يمكنهُ ان يستفيد من معلومات المصطاف بوقوفهِ على احوال بلادهِ وربّما كان ذلك فاتحة معاملات تجاريّة واقتصاديّة وقتيّة ينتفع بها اللبناني

وممّا يجب على اللبنانيين اذا ما احبُّوا توفُّر عدد المصطافين في ظهرانيهم ان يحيدوا عن المطامع الزائدة الدنيّة سواء كان في تأجير بيوتهم لسكنى المصطافين ام في بيع المأكولات والمشروبات فلا يتجاوزوا في كلّ ذلك القيمة الجارية بين العموم. وكذلك يتحاشى الاهلون كلّ عمل او كلام يمكنهُ ان يسبّب نفورًا للمصطافين. فعلى المدير او المختار او الشيوخ ان يتلافوا كل ذلك ويسعوا باصلاح البين بكل عدل ونزاهة

وممّا يحسن باهل القرى المضيفة للمصطافين ان يظهروا في سلوكهم ما طُبعوا عليهِ من الآداب الطيّبة وروح الدين بقيام كل واجباتهم الدينيّة فيكونوا لهم قدوةً صالحة بها ايضاً يكسبون اعتبار ضيوفهم اذ لا شيء يؤثّر في الانسان كنظر ذوي جنسهِ يؤدّون لخالقهم بكل تُقى ما يستحقّهُ من الاكرام والسجود. وهذا بلا شكّ احد الاسباب التي تزيد اقبال كثيرين على الاصطياف في لبنان

وقد سبقت في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٨٩٨–٩٠٠) خواطر لمصيِّفٍ في لبنان اعلن فيها استياءهُ لما وجدهُ من الخلل في بعض مظاهر الدين سواء كان في حالة الكنائس ام في حالة الشعب الروحيّة. وفي ملحوظات الكاتب الاديب ما يدلّ على نفور المصطافين ممّا يشاهدونهُ في بعض الامكنة من الاهمال والتغاضي. فمن الواجب اذن ان يكون للمظاهر الدينيّة ما تستحقّهُ من النظام والرونق والبهاء

٣ً احوال المصطافين

كما انَّ تصرُّف اللبنانيين نحو المصطافين من شأنهِ ان يساعد على تعميم الاصطياف

في لبنان كذلك تُعين عليه احوال المصطافين

ليس كلّ المصطافين من اهل الصلاح والآداب الراقية. فانّ بينهم اصحاب البطالة والطالبين للملاهي ومنهم الغلاة في المبادي السياسيّة والمتهكمون في الشهوات الباطلة. تراهم يقضون ايّامهم ولياليهم في القامرات والسكر والملاهي الخبيثة يطلقون العنان لشانهم في بثّ روح الخلاعة والكفر بين اهل لبنان. وينشرون الجرائد والمجلّات والكتب الفاسدة. وتكتسي نساؤهم بالملابس المتهتكة

فمجيء مثل هؤلاء الى لبنان آفة على الاصطياف المادّيّ المربح وان قلّ عددهم أيّف رجال الفضل والأُسر الكريمة من قضاء فصل الصيف في لبنان فيفتقد الجبل سمته الطيّبة ويحيد كثيرون عن قصده فانّ مثل هذا التعميم الفاسد ضررٌ يؤدي اخيرًا الى الاستنكاف والأنفة ثم العدول عن لبنان

ومن ثمّ يلزم شركة الاصطياف ان تمنع مثل هؤلاء عن دخول لبنان طاقة جهدها لئلّا يتدنّس الجبل بمفاسدهم وتهتكهم

وكذلك الاهلون يجب عليهم ان يتحرّزوا من الذين يرونهم قليلي الآداب مغرمين بالقصف واللهو متشاغلين بالمقامرات. ويا ليت الحكومة اللبنانيّة تضرب على ايدي المقامرين وتصون لبنان من هذا الوباء القتّال

هذا بعض ما خطر على بالنا تلبيةً الى دعوة جناب المقترح مع الدعاء الى الله ان يزيد لبنان حسنًا وبهاء ويجعله مأوى صالحًا لكل طالبي صحّة الجسم وهناء النفس

الاحوال الاقتصادية في سورية الرومانية

لحضرة الاب رنه موترد اليسوعي كنشليار مكتب الحقوق الفرنسوي

قد ظهر مؤخرًا تأليفان في التجارة واحوال سوريّة الاجتماعيّة في القرون الاولى من التاريخ المسيحي(١ فرأينا ان نستخلص منهما بعض فوائدهما لينتفع بها اهل سوريّة

١) روستوفتزف M. Rostovtzeff: The social a economic History of the Roman Empire. *In-8°, XXV-695 pp., Oxford, Clarendon Press, 1926* =

المحدثون. والتأليف الاول الذي عنوانه تاريخ المملكة الرومانية الاجتماعي والاقتصادي مؤلفهُ احد الكتبة الروسيين الذي بعد هجره لوطنهِ فراراً من البولشفية امكنهُ ان يحصل في جامعات الولايات المتحدة على مركز حسن. اما التأليف الثاني فمؤلفهُ المستر لويس وست فانهُ قصرَ شغلهُ على تجارة سوريَّة الشمالية في ذلك العهد عينهِ والكاتب اميركي الوطن متضلع من المباحث التجاريَّة ومن التاريخ القديم معاً. فمن مراجعة هذين الكتابين يمكننا انْ نبيِّن حالة سوريَّة في قرون النصرانية الاولى فنذكر: ١ً ترقي البلاد واحوالها الاجتماعيَّة. ثم ٢ً زراعتها. ثم ٣ً صناعتها. ثم ٤ً تجارتها. وها نحن نستقري هذه الامور الاربعة بدلالة الكاتبين مع زيادة ايضاحات على ما لم يستوفيا بيانهُ

١ ثروة سوريَّة واحوالها الاجتماعيَّة

انْ استثنينا الاحراج التي كانت تزين لبنان لم يختلف قديماً نظر سوريَّة كثيراً عن حالتها الحاضرة. وكان الرومان يَعنون بسوريَّة كلَّ البلاد الواقعة بين جبل طورس وجنوبيّ فلسطين وهم يعتبرونها قبل كلٍّ كأرضٍ زراعيَّة. وما كانوا يستثمرون منها المعادن اللهمَّ إلّا حُمَر الاردنّ والجصّ. وكانت المدن وقتئذٍ اوفر عدداً منها في عهدنا لاسيا في الداخليَّة لكنَّها لم تكن حافلةً بالسكَّان ما خلا انطاكية

وكانت الاملاك مقتسمةً بين كبار المُلّاكين ساكني المدن وبين المراكز الدينيَّة التي كانت تملك على ارزاق واسعة. وكان للامراء من سلالة الهيرودسيين وقياصرة رومية ايضاً املاك وافرة في بلاد الجليل. امَّا الفَعَلة لفلاحة هذه الاملاك فلم يكونوا من العبيد كما في صقلية ولا من المستعمرين الملازمين التربة كما في آسية الصغرى. وانَّما كانوا أُجراء احراراً يترزَّقون بخدمة المُلّاكين وكان المُلّاك ترى او مزارع يُعنى بزراعتها. فنرى مثلاً في الكتابات القديمة اسماء كهذه «هذا ملك كزميانوس . . . هذه ارض حبيب» وكان المُلّاك الغنيّ يستأجر عملةً لفلاحة ارضهِ كما نصَّ على ذلك السيّد المسيح في الانجيل فيمثل عَمَلة الكرم الذين كانوا يجتمعون صباحاً في احدى ساحات

L. G. West: Commercial Syria under the Roman Empire (*Trans. American Philolog. Associat., LV, 1924, pp. 160-189*

البلدة ليستأجرهم ارباب الملك

وكان اصحاب الاملاك باتي المطامع . فقد افادنا القديس يوحنا الفم الذهب انهم ما كانوا يرضون من شركائهم الفلاحين بأربح الكافي مثلاً ١٢ ٪ بل كانوا يطالبونهم بالخمسين في المئة . ومن ثمّ كان العملة في القرى يكرهون سكان المدن حتى انّ القرويين في القرن السادس لمّا هرب اهل انطاكية من حاضرتهم خوفاً من الزلازل جعلوا يفتكون بهم ويقتلونهم

وكذلك الفلاح في ذلك العهد كان حريصاً على المال كثير الحيلة في جمعهِ . ومما اخبرهُ الخطيب ليبانيوس الشهير والمتملك الكبير في جهات فلسطين انّ الشركاء كانوا يتّفقون مع الجنود ليتملّصوا من أداء المال الذي في ذمّتهم لارباب الاملاك . امّا شركاء المراكز الدينيّة فكان نصيبهم أصلح وأرضى . فكانوا يقيمون اسواقاً دينيّة (panégyries) يتقاطر اليها السكان لممارسة فرائض الدين وللتجارة وكثيراً ما كانت هذه الاسواق معافاةً من الضرائب الديوانيّة . من ذلك السوقُ المقامة بقرب هيكل حصن سليمان في بلاد عكار . ولعلّ السوق التي تُقام حاضراً في دير القديس جاورجيوس عند قلعة الحصن هي بقيّة من تلك السوق القديمة

٢ الزراعة السورية ومحصولاتها

بديهي انّ الاراضي السوريّة كانت في عهد الرومان معتبرة كأغنى بلادهم بوفرة الغلّات لاسيا القمح والشعير . فانّ القطر السوري كان يستغني لإعاشة سكانهِ عن البلاد المجاورة ما لم يحصل قحطٌ يلجئهُ الى استجلاب الغلال من مصر . وكذلك كانت سورية تقوم بغذاء جيش الاحتلال الروماني . لكنّها ما كانت تصدر الى الخارج شيئاً من غلّاتها ومن ثمّ لا صحّة لما اشاعهُ بعض الغلاة بقولهم انّ سوريّة وخصوصاً البقاع كانت اهراء المملكة الرومانيّة

ومن محصولات سوريّة الوافرة زيتُ زيتونها وخمرُها الفاخرة . فانّ ايطالية كانت تبتاع الخمور من بيروت وطرابلس وجبيل وافامية (قلعة المضيق) وصور اعني من سائر بلاد العلويين ولبنان الحالي . وكانت خمرُ اللاذقيّة تُرسل الى سواحل البحر الاحمر فيبدلونها بالعاج واللبان والاصباغ والدهون . ولا شكّ انّ خمراً كهذه لئلا

تفسد مع طول طريقها كانت كثيرة الكحول كالخمر اللبنانية الخاضرة المعروفة بالخمر الذهبية او كخمور بلاد الجزائر الحمراء.

وكذلك ثمار سورية كانت غزيرة جداً كالاجاص والخوخ والتين يُرسل منها كميات وافرة الى ايطالية. وكان الاجاص الدمشقي يوصف كثيراً. وكان الايطاليون زرعوا في بلادهم ثلثةً من اجناس التين السوري كان اصل الواحد من سورية يدعونهُ كوتانا (Cottána) والاثنين الآخرين من آسية الصغرى. ومن محصولات سورية الصادرة الى اوربة الكمثرى والحمّص والفجل والبصل والفستق. وكانوا يدعون بالعسل الفينيقي نوعاً من دبس التمر او الخرنوب

ومما راجت سوقهُ في الخارج عدة نباتات سورية منها عطور ومنها ادوية كالمصطكى والاخشاب العطرة وزيت الارز وجوز العفص والناردين والزفوت والراتينج وزهرة الكرم (œnanthe) التي كانوا يزجونها بواحد وعشرين صنفاً من العقاقير

ويجب ان نُلحق بمحصولات سورية خيلها الشهيرة كانت رائجة السوق في مصر. وكذلك الوحوش الضارية التي كانت تتخذها رومية لألعابها العمومية. يُخبر عن الامبراطور كلوديوس انهُ كان كل سنة يستجلب من سورية عشراً من النياق تُعرض على الشعب تفكهةً. وقيل ان الامبراطور پروبس عرض في حلبة رومية مئة من الفهود السورية

وكان الرومان يستحبّون ايضاً اخشاب سورية الفاخرة كالارز والبطم والعرعر وذلك قبل ان يجرَّد لبنان من غاباتهِ الكثيفة. وكان الامبراطور ادريان قد احتكر للدولة اربعة اجناس منها كانوا يعمّرون بها سفنهم. وكان السوريون يتعاطون ايضاً النخاسة لخدمة الرومان في قرون رومية المتأخرة وانما كانوا يربّون العبيد ويثقفونهم ليخدموا اما كمصارعين واما كممثلين في المسارح. وكانت مدن سورية تقتسم هذه التجارة الدنيئة. فكانت اللاذقية تُعنى بتعليم العبيد الفروسية. وصور وبيروت بفن التمثيل. وغزّة بالموسيقيين. وبعلبك بنفخ الشبّابات. والقيصرية بفن الرقص. وعسقلان بالصراعة

وكانت كل هذه السلع تصدر من القطر السوري. وكانت المرافئ السورية ما

خلا ذلك توسق بضائع اخرى تأتيها من البلاد الاجنبيَّة تنقلها القوافل من البحر الاحمر وجزيرة العرب على طريق بُصرى وحوران الى صيداء وبيروت. وكذلك محصولات العجم والعراق والهند حتى الصين كانت تأتيها على طريق تدمر الى انطاكية واللاذقيَّة.

فمن هـذه السلع ما كان يجتاز في سوريَّة مبرًّا اخصُّها الافاويه والعقاقير واللبان والمصنوعات الصينيَّة والدهونات والعطور. وكان اكثرها رواجاً عطرٌ هنديٌّ كان يرسل على طريق البحر الاحمر وجزيرة العرب يدعونهُ «مالوباترون» كانوا يشترون والمنة وقد زعم احد علماء الالمان انَّ هذا المشموم هو الذي شاع استعمالهُ قبل ثلثين سنة ويدعى بتشولي (patchouli) وفي تجديد شيوعه ما يثبت قول سليمان النبيّ ان ليس جديدٌ تحت الشمس

وكان بين السلع المذكورة قسمٌ آخر يستفيد منهُ السوريون في صناعتهم كما سترى

٣ الصناعة السوريَّة في عهد الرومان

﴿ الحرير والقطن ﴾ كان الحرير يُنقل الى سوريَّة من الصين والقطن من الهند وكان اوَّل دخول بزر القزّ الى سورية في القرن السادس بواسطة بعض الرهبان المرسلين ولعلَّ القطن احدث عهداً في الشام. وكان صنّاع صور وصيداء وبيروت يصدرون الى الحرير الخام فيتمّمونهُ ويصبغونهُ. اخبر لوسيانوس الفيلسوف انَّهُ كانت تُباع في رومية حرائر منسوجة في الصين كان عمَّلة مصر تنسّرها حتى اصبحت شفَّافةً. وكانت هـذه الحرائر تُوركش بالذهب فتباع بأثمانٍ غالية الى ان صدر امر القياصرة باستحضار هذه المنسوجات في المعامل الامبراطورية. فاصاب السوريين بهذا الاحتكار ضررٌ عظيم بعد رواج مصنوعاتهم في كلّ انحاء المعمور.

﴿ الاصواف السوريَّة ﴾ ماكانت سوريَّة تحتاج الى موادّ صناعتها خارجاً عنها فكان الصوف لديها متوفراً في غاية الجودة تنتجهُ تربتها نبات الصابونيَّة لتبييض جزّتهِ. وكانت صناعة الغزل شائعة في انحاء البلاد حتى انَّ سيّدات تدمر كنَّ احياناً يتصوَّرن وفي ايديهنَّ مكبّ الغزل ولعلهنَّ نقلن ذلك تشبُّهاً بتمثال الإلهة السورية المنصوب في منبج. ويروى عن التوافل السوريَّات انهنَّ اخترعن بعض التحسينات في اصطناع الجزم

﴿ الارجوان ﴾ وكان السوريون يستنبتون الكتّان ايضاً ثمّ تخصّصوا بعد قليل باستحضار الصوف والكتّان مصبوغَين بالارجوان . وقد استخرجوا صبغ الارجوان من دودة اصداف كان اهل صور يصطادونها على سواحل الشام والبحر المتوسط تدعى موركس (murex) فكانوا ينقعون تلك الاصداف ثم يغلونها فتنبعث منها روائح كريهة لا يكترثون لها لما يحصلون عليه من الارباح الطائلة . فان ليبرةً (نصف كيلو) من المنسوجات الارجوانية البنفسجيّة اللون كانت تساوي في عهد اوغسطس قيصر مئة دينار اي نحو ١٨٠ فرنكاً ذهباً من نقودنا الحاليّة . ثمّ غلبها الارجوان الاحمر المصنوع في تارنتي (ايطالية) ثمّ شاع بعدهما الارجوان المضاعف الصبغ (dibapha) الشبيه بلون عبيط الدم الاحمر المتلمّع بسواد الذي بلغ ثمن ليبرته الف دينار (١٨٠٠ فرنك ذهباً) . وقد فاق صبّاغو صور بحذقهم على سواهم في صيداء وصرفند ودورا وقيصريّة

﴿ الزجاج ﴾ ومن الصنائع التي اصاب فيها السوريون قصبة السباق الزجاج . ولم يتّفق العلماء حتى يومنا عن مخترعي الزجاج ونفخه . والمرجّح انّ الفضل في ذلك للمصريين الّا انّ الفينيقيين تعاطوه بعد اختراعه بزمن قليل وزادوا في تحسينه . وكانت صيداء في العهد الروماني مركز صناعة الزجاج . ومن آثارها اقداحٌ زجاجيّة صغيرة شفّافة كتَبَ عليها صنّعتها اسماءهم باليونانيّة واضافوا اليها هذه الوصاة «تذكر ايها المشتري هذا الاسم» . وكان يصطنع الزجاج عددٌ عديد من العملة فتوفّرت الآنية الزجاجيّة حتى انّ قدحاً للشرب كان يباع بنقود نحاسيّة . وكان الصنّعة يتفنّنون في استحضار الزجاج وطرائق نفخه عند اتقادهِ على قوالب شتّى ليرغبوا باشكالها الزبائن

وقد وجدوا عدداً وافراً من زجاج صيداء في عدّة بلاد حتى شواطئ نهر الرين والبحر الاسود . ومن خواص هذا الزجاج انهُ كان اذا بقي مطموراً مدّة في الارض تلوّن بألوان زاهية ذهبيّة وفضيّة يتزاحم اليوم في اشتراء قطعهِ الاثريون في اوربّة واميركا

﴿ المعادن ﴾ ولم تُحرم سورية من الصناعة المعدنيّة . نعم ان هذه الصناعة لم تبلغ ما بلغتهُ في عهدنا للاشغال العموميّة والابنية وسكك الحديد ولكن كانت كافية لحاجات الاقدمين فيصطنعون ضروب الادوات والاسلحة التي كانوا يبيعونها في مخازنهم البعيدة وفي المدن الداخليّة على حدود البادية لنفعة الاعراب وكان لصيداء نقابة لصنعة الاسلحة والسكاكين . وكانت رومية اتّخذت لها في انطاكية معملاً كبيراً

لاسلحتها. وكان فيها ايضاً وفي تدمر معمل لاصطناع المصوغات الجوهرية. وكانت تدمر تتاجر بالمصوغات وتنقل جواهر العجم الى اليونان والى البحر الاحمر. وكان لانطاكية شهرة بعيدة بما تصطنعهُ من الاقداح والآنية الفاخرة بنقوش مختلفة منقورة او نافئة او مقعّرة. ولمّا انتصرت النصرانيّة على الوثنيّة كان المرجع الى انطاكية لاصطناع آنية الكنائس من كؤوس وصواني وصحون وقناني للزيوت المكرّسة والميرون. وقد انتشرت هذه الاوعية في سائر الكنائس حتى في قبرس وثراقية وكان لحوران صاغة وجوهريون خصوصيون. وهاجر كثيرون من السوريين الى البلاد الاجنبيّة وتعاطوا فيها اشغالهم وصاغوا الذهب والفضّة وكان في مدينة ليون رقّام من سرمش (barbaricarius) يرقم الانسجة ويوشّيها بالمعادن الثمينة. وكذلك كان في رومية صائغ يستحضر الجواهر الثمينة (gemmarius) اسمهُ البيوس تيم الله (L. Albius, h. l. Thaemalla) ما يدلّ على اصلهِ العربي

٤ التجارة

فترى انَّ السوريين كانوا يهاجرون ايضاً في تلك الازمنة البعيدة إلّا انَّ المهاجرة كانت محصورةً ويعمد اليها التجارُ الاغنياء الاحرار وبهاتين الصفتين كانت تختلف من المهاجرة الشائعة في عهدنا. فكان تجار كبار من السوريين يقطعون البوادي ويسيحون في انحاء الممالك الرومانيّة فتراهم في مراكش وانكلترة والقفقاز وفي مدينة قبطس على طريق الهند من جهة البحر الاحمر. ويلوح من احتلالهم في هذه المراكز انهم يحسنون انتخاب البلاد الرائجة الاسواق الكثيرة الاعمال فتارة يحلّون في المرافئ الحافلة بالسكّان ويتّخذون المخازن الكبيرة. واذا اخذت سوقٌ في الكساد انتقلوا الى غيرها اوفر منها ربحاً. فانّ الآثار تشهد على وجود اهل بيروت وصيداء وغيرهم في القرن الاوّل والثاني للمسيح في ديلوس (اليونان) وفي مالقة (اسبانية) ولعلّهم هناك اشتركوا مع المعدّنين في المناجم الفضيّة وكذلك نجد اهل صور وبيروت في اوّل عهد الامبراطرة في مدينة بوزّولة مرفإ رومية ثمّ انتقلوا الى مرفإ اوستية لمّا غلب على مرفإ بوزولة. وكان لهم في عاصمة الرومان حيٌّ خصوصي ومستعمرات في مدينتي اكويلا ورافنة في اقصى شواطئ البحر الادرياتيك حيث كانوا يتاجرون مع اهل

جرمانية واعالي نهر الدانوب. واستوطنوا مدينة ليون عاصمة غالية التجاريَّة واقترنوا بالزواج مع اهلها. ومنهم من سار الى مدينة تريف على شواطئ الرين بل بلغوا الى قارنتة عند رأس الدانوب. ولمَّا اصبحت القسطنطينيَّة حاضرة المملكة اسرع نُشطاء السوريين فاحتلُّوها وكان لاحدهم بطرس بَرْسِيا مَصْرِفٌ بقرب البلاط الملوكي ثمَّ دخل بين حرسه حتى نال الحظوة عند الامبراطورة ثاودورا زوجة يوستنيان الملك

وكان السوريُّون اذا استوطنوا مدينةً اقاموا لهم محلّاً او خاناً كانوا يجعلونهُ مستودعاً لبضائعهم فيمنازلهم مع معبد يعبدون فيهِ آلهتهم الوطنيَّة. ففي خان مدينة پوزُّولة نذر تاجران سوريَّان بعيرَين صغيرَين من الذَّهب للاله دوساري (ذي شرى)

فما سبق يتحصَّل انَّ السوريين كانوا أحسنوا تنظيم تجاراتهم. ولكنْ الى أي درجة بلغ ذاك التنظيم؟ أيا ترى عرفوا شيئاً من التسهيلات الجارية في عهدنا لرواج تجاراتهم مثلاً النسأة التجاريَّة (crédit bancaire) او شركة المشروعات؟ فالجواب على ذلك بالايجاب فاننا نشرنا في المشرق (٢٤ [١٩٢٢]: ١٩٠ــ٢٠٠) كتابةً لصرَّاف بيروتي كان مقيماً بقرب هيكل عشترت معبودة المدينة. وكذلك اثبتت الآثار الكتابيَّة وجود صرَّافين سوريين في جبيل ورافنة وفي القسطنطينيَّة وانطاكية. لكنَّنا لم نجد انَّ الشركات التجاريَّة تُعقَد لمباشرة اعمالٍ ما تكون ارباحها وخسارتها مقتسمة بين المشتركين ألهم الّا في مدينة تدمر

وما لا شكَّ فيهِ ان ثروة سوريَّة وخصبها كانا اعظم في ذلك العهد منها في عهدنا. وكفى بذلك عبرة للمعتبرين. فان اراد السوريُّون ان يحسّنوا امورهم فعليهم قبل كلّ ان يهتمُّوا بالزراعة ويستفيدوا من الاختراعات الحديثة لذلك. فمن الواجب اذا ارادوا زرع الحبوب ان يبالغوا في الفلاحة وتجديد التربة ثمَّ ينتخبوا اجود الحبوب ويُعنُوا العناية الواجبة في تسميد التربة بالسمادات الكيماويَّة فيمدُّوها في السهول الداخليَّة. ويجب على اهل لبنان وسكَّان الجبال ان يستحضروا الثمار اليابسة والنباتات الطبيعيَّة بقرب اشجار التوت. أفلا يستطيع اللبنانيُّون ان يجاروا سكَّان آسية الصغرى بتجارة الاثمار اليابسة وعطر الورد؟ ما لهم لا يصطنعون بأثمارهم المربيات مع ما يجد سوريَّة من كميَّات السكّر فيستغنون بذلك عن المربيات الاجنبيَّة الغالية

الثمن. وكذلك الخمر اللبنانيّة فلو استحضروها كأجدادهم امكنهم تصديرها الى الخارج دون فسادها

وعلى هذا المثال عدّة صنائع قديمة اصابها الخمول لعدم اتقانها كما في العهد السابق كحياكة الحرير والطنافس وتطعيم الآبنوس ونقش الزجاج الذي يهتمّ في تجديده حاضرًا المعهد الفرنساوي في دمشق. فعلى افراد التجار والشركات الوطنيّة ان يسموا باعمال رابحة برؤوس مالهم فيخففون هكذا من عاتق الحكومة التي تعجز وحدها عن القيام بعدّة مساعي فيخدمون وطنهم ويحرزون لهم ثروة طيّبة

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني

نظر عامّ في الآداب العربية حاضرًا

تتبّعنا في دروس سابقة ثلاث حقب الربع الاوّل من القرن العشرين ورأينا ما طرأ على الآداب العربية من التأثير والتقلّب بدواعي احوال العصر من حريّة مقيّدة وحريّة دستوريّة وانضغاط لسبب الحرب الكونيّة والتحرّر التام بعدها

فما بقي علينا إلّا أن نلقي رائد البصر الى العالم العربي الحاضر لنرى اجمالًا حالة آدابهِ الحاضرة وما يُرجى منهُ لمستقبل هذه الآداب

كان حقّنا ان نباشر بحثنا هذا بمهد اللغة العربيّة اي جزيرة العرب. أيستفاد من نجدها وحجازها ويمنها شيء لنهضة الآداب العربيّة؟ فنجيب بكل أسف انَّ مقامها في عالم الادب غاية في الخمول. فانَّ مدارسها وصحافتها ومنشوراتها لا يُعبأ بها. ولا

تنكر انَّ في حواضرها بعض العلماء المتفنّهين إلا انَّ آثار اقلامهم زهيدة مجهولة . ولا تخلو مكة والمدينة وصنعاء من مخطوطات عربيَّة نادرة وانَّما هي مطمورة متوارية في بعض زوايا المساجد او بيوت الخاصَّة يقرضها العثّ والأرضة ويتلهَّف على فقدها العلماء وحتى الآن لا تلوح لنا بارقة امل في تحسين تلك الاحوال وخروج البلاد من سُبتها وجمودها الادبيّ

لكنَّ نظر مصر ورقيها في سلم الآداب يبهج النظر ويسرّ القلب . فانَّ عظمة ملكها فؤاد الاول ووزراءها وعلماءها الأعلام من وطنيين وأجانب يتناصرون في تعزيز الآداب العربيَّة في القطر المصري عموماً وفي القاهرة خصوصاً . فالمدارس زاهرة وسوق الآداب نافقة والصحافة راقية والمطبوعات العربيَّة متوفرة . وهناك الجامعة العربيَّة والمكاتب الحافلة بالآثار القديمة والمخطوطات العزيزة الوجود بعضها في المكاتب العموميَّة وبعضها عند الخاصَّة ذوي الهمَّة القعساء .

على انَّ هذه النهضة المشكورة لم تبلغ غاية ما يؤمَّل من نشاط ذويها وتوفُّر اسباب نجاحهم . فانَّ لديهم كنوزاً من آثار القدماء لم تزل دفينة . ومع تحسُّن الطباعة المصريَّة مادّياً لم تتحسَّن كثيراً بالصورة والمضامين والشروح وتصحيح الروايات والفهارس الخ فانَّ منشوراتها بعيدة عن اتقان المستشرقين لكتبهم

اما مطبوعات مصر الحديثة فانها تحسَّنت من جانب حروف الطباعة واتقان الطبع وجمال الصور وصقالة الورق لكنها غالباً قليلة الجدوى فانَّ بينها قسماً كبيراً للروايات الخياليَّة التي يعرّبونها عن اللغات الاوربيَّة ومعظمها ضرره اكبر من نفعه لما يغلب عليها من وصف الحوادث الغراميَّة وتهييج الشهوات الباطلة . ومنها قسم آخر اخلاقي اجتماعيّ سياسيّ هو ايضاً منقول عن كتب الغرب بيئة الثث والسمين فينشرون آداب الفرنج دون الاحتياط اللازم اذ ليس كل احوال اوربَّة تصلح لاهل الشرق

واما الكتب العلميَّة فانها قليلة الرواج بين العموم ما عدا بعض التآليف التاريخيَّة القريبة المنال غير الواسعة الجامعة . على انَّ بعض المجلات لاسيا التي ينشئها اهل الشام كالمقتطف والهلال لا تستنكف عن الفصول العلميَّة الراقية . والمقالات الاجتماعيَّة والفلسفيَّة لولا بعض تطرُّف في الآراء . اما العلوم الدينيَّة فهي محصورة بالعلوم الاسلاميَّة التي اخذ البعض في انتقادها دون التحرُّز الكافي والاعتدال المرغوب . وتتعاطى

الارساليَّاتُ الاميركيَّة الابحاث الدينيَّة المسيحيَّة تشوبها مسحةٌ من الآراء البروتستانيَّة

امَّا ﴿السودان﴾ فلا تكاد تفيد شيئاً الآداب العربيَّة لقلَّة عناية اهلها بأمور العقل. وانَّما أُنشئت في الخرطوم مطابع لنشر بعض الجرائد وتآليف بسيطة

ويجاري ﴿القطرُ السوري﴾ واديَ النيل في مساعيه المشكورة لخدمة الآداب العربيَّة . ففيه المدارس العليا والثانويَّة والابتدائيَّة لا تكاد تخلو من بعضها ناحيةٌ من بلاد الشام. ففي بيروت ودمشق الجامعات الكبرى للعلوم الطبيعيَّة والهندسة والطب والحقوق. وفيها ايضاً كما في صيدا وطرابلس وحلب وزحلة والبترون وجبيل وجونية ودير القمر مدارس ثانويَّة بعضها للذكور وبعضها للاناث. امَّا المدارس الابتدائيَّة فلا يضبطها احصاء. في كل قرى الجبل وكافَّة سوريَّة وذلك بفضل الانتداب الفرنساوي الذي يبذل الجهود في تعميم التعليم. وقد يقوم بهذه المهنة الشريفة رجال من ذوي المقدرة منهم رهبان ومنهم علمانيُّون . وكذلك مدارس البنات تتولَّاها بعض العلمانيَّات وبالاخصّ راهبات من جماعات رهبانيَّة مختلفة كراهبات المحبَّة وراهبات قلبي يسوع ومريم وراهبات مار يوسف وراهبات الناصرة وراهبات العائلة المقدَّسة وراهبات بيزنسون. على ان بعض مدارس الذكور الابتدائيَّة تحتاج الى مراقبة وحسن تدبير. ولذلك فكَّرت الحكومة في فتح دار للمعلّمين يتخرَّجون فيها لادارة المدارس وللآباء اليسوعيين في تعنايل دار من هذا الصنف اتت بثمار طيّبة

وسوريَّة غنيَّة ايضاً (بالمطابع) التي قد تعدَّدت في المدن والقرى معظم شغلها في نشر الجرائد والمجلَّات التي تنيف على المئتين . اخصُّها في المدن لاسيَّما في بيروت ودمشق وحلب وطرابلس وصيداء وحمص وحماة ولا تخلو منها نواحي الجبل وقراها كزحلة والقامور ودير القمر وبيت شباب وجونية وجزين واهدن وعاليه. والغلب منشوراتها جرائد سيَّارة ليس بينها إلَّا القليل ما يستحقّ الذكر ويفيد الآداب كلسان الحال والبشير والوطن والبرق والقبس والقبس والعلم والزهور والصفا

وارقى منها المجلَّات كمجلَّة المجمع العلمي في دمشق والعرفان في صيداء والمشرق والكليَّة والآثار الشرقيَّة والحارس والمعارف والمجلَّة الطبيَّة العلميَّة ورسالة قلب يسوع والنشرة الاسبوعيَّة والمعرض والبيان في بيروت والآثار في زحلة والباحث في طرابلس يحرّرها غالباً قوم من افضل حملة الاقلام. لكنَّها لا تزال تحتاج الى ترقٍ

لتجاري المجلّات الاوربيّة التي يحرّرها الاختصاصيّون ولاسيا في القسم العلميّ والاثري كما ترى في مجلة (Syria) او في مجموعة المكتب الشرقي او كليّة القديس يوسف (Mélanges de l'Université S[t] Joseph)

ومما يبعث الأمل في حسن مستقبل الآداب العربيّة ما أُنشئ من الجمعيات لخدمتها كالمجمع العلميّ في دمشق وكنوادٍ ادبيّة الشبيبة فيها وفي بيروت وحلب وحماة وطرابلس. فانّ الناشئة تزيد اقبالًا على الآداب اذا انتظمت في سلك جمعيات تجد اصحابها حريصين على الرقي والنجاح يتمرّنون على الكتابة والخطابة ويلقون المحاضرات في الابحاث العلميّة او المسائل الاجتماعيّة

وكذلك قد توفّرت الوسائل لاستقاء المعارف وتعزيز الآداب بتوفر المطبوعات المختلفة كالتواريخ العموميّة والخصوصيّة وكالدواوين الشعريّة والتآليف المدرسيّة والمصنّفات الادبيّة واللغويّة. وها قد تمّت الطبعة الجديدة من المُنجد بعد توسيعه وتكميله وينتظر قريباً معجم الشيخ عبدالله البستاني وغير ذلك من المنشورات المفيدة

ومما يُساعد على رقي الآداب خزائن الكتب الجامعة للتآليف القديمة والحديثة. ولبيروت فضل كبير في ذلك وفيها أُنشئت اوّل مكتبة عموميّة بهمة رجل الفضل والادب الفيكنت فيليب دي طرّازي. وفي الكليّتين اليسوعيّة والاميركية مكاتب واسعة يقصدها السكّيّون باحراز العلوم

ومن الاقطار التي تستحق الذكر بعد مصر وسوريّة ﴿العراق﴾ فانّ بغداد مدينة السلام لا تستطيع ان تنسى ماضيها اذ كانت مركز الحركة العلميّة في عهد الخلافة العبّاسيّة. وانّما أُصيبت في العهد التركي بخمول عظيم على الرغم ممّن اشتهر فيها من الادباء كالألوسيين وغيرهم

لكنّ دولة العراق الجديدة ساعيةٌ في سدّ هذا الخلل فترى فيها حاضراً نهضة جديدة يتناصر في تعزيزها ارباب الدولة مع أُدباء المسلمين والنصارى. وقد تحسّنت المدارس وتعدّدت المطابع وترقّت الصحافة ونُشرت الكتب في الفنون المختلفة ما يدلّ على انّ العراق افاق من سنته. امّا ﴿الموصل﴾ فانها بعد فقدها لمطبعة الآباء الدومنيكان تحتاج الى وسائل جديدة لتنهض من كبوتها. وانّما مدارسها تُنبئ بتحسّن محسوس. ومثلها البصرة. ولعلّ النجف وكربلاء اقرب اليوم منها الى احراز المعارف (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Mousset (Albert): Le royaume serbo-croato-slovène, son organisation, sa vie politique et ses institutions. *Paris, Bossard*, 1926, 8° 12° éd., 170 *pp*, 44 *photogr.*

المملكة السربيّة الكروانيّة السلوفيّة

ظهر هذا الكتاب السنة ١٩٢١ وها هو قد بلغ طبعته الثانية عشرة. وانما اصاب هذا الرواج لوقوف كاتبه على كلّ احوال البلاد التي حاول وصفها اذ قضى فيها سنين عديدة من عمره. ثمّ لا يزال يحسّن تأليفه ويضيف اليه معلومات جديدة فضلاً عمّا يزيّنه من التصاوير البديعة. وانشاء الكاتب كثير التفنن وهو يرى انّ البلاد السربيّة الكروانيّة السلوفيّة لوحدة اصلها العقليّ يمكنها ان تتّفق رغماً عمّا بينها من النزعات القوميّة. وبياناً لذلك قد خصّ عدّة فصول من كتابه بحث فيها من احوال تلك المملكة من حيث السياسة والتاريخ والآداب والدين. وهو يعدّ تسعاً ثانياً سوى يبحث فيه من الطرائق الاقتصاديّة في يوغوسلافية. وهذا الكتاب افضل ما كتب الى اليوم من تلك الاقطار

ج. لوثك

H. S. Blunt: Gum arabic with special reference to its production in the Sudan. *Gr.* 8° 1926, *London, Humphrey Milford*, Oxford, *University Press.*

الصمغ العربي واستثماره خصوصاً في السودان

مؤلف هذا الكتاب هو ناظر غابات دولة في السودان وقد جمع فيه لفائدة الحكومة كلّ المعلومات المختصة بالصمغ العربي هناك. وكل يعلم انّ محصولات هذا الجنس ارباحها وافرة في السودان وخصوصاً في اقليم كردفان. وتأليفه هذا نهاية في الضبط لم يفته شيء من الافادات من وصف شجرة الصمغ وهي من جنس الاكاسيا (acacia varek) ومن بيان محصولاتها وتجارتها واسواقها. وزيّن الكتاب صور عديدة مع خارطة تبيّن معدّل ما يسقط هناك من المطر. فيا ليت حكومتي سورية وفلسطين تجهزان لنا كتباً مثل هذا من اشجار هذين القطرين

ج. ل

Abbé Dibildos, directeur de l'Ecole Bossuet. UNE ÉDUCATION CHRÉTIENNE EN PLEINE VIE. *in*-12, 1926, *Paris, Bloud et Gay*.

التربية المسيحيّة الحيّة

انَّ مدارس الحكومة في فرنسة لحيادها عن الدين تعرّض الناشئة لاخطار عديدة اخصّها فقدهم للايمان. فلمعالجة هذا الداء انشأ الكاهن ديبلدوس مدارس خارجيَّة في باريس وليون دعاها باسم "مدرسة بوسويت" يهتمّ بتهذيب التلامذة بعد حضورهم مدارس الحكومة وقد ظهرت فوائد هذه المدارس التي يشكرها الاهلون ويحملون فيها اولادهم فيخرجون منها مهذَّبين عقلياً بعلوم الحكومة وادبياً بآداب الدين المسيحيّ. فيا ليت الذين يطنطنون في الجرائد باطراء المدارس العلمانيّة يتصفَّحون هذا الكتاب ليقفوا على اضرار التعليم اللاديني وفوائد التربية المسيحيّة

La pensée française au XVIII^e siècle par **Daniel Mornet**, *in*-16, *Paris*, 1926, *Collection Armand Colin*, n° 81

الفكر الفرنساوي في القرن الثامن عشر

قد صنَّف كثيرون تآليف في وصف الآداب الفرنسويّة في القرن الثامن عشر. لكنَّ المصنَّفات في تعريف الفكر الفرنساوي قليلة. فمؤلف هذا الكتاب قد خصَّص دروسهُ في مدرسة السوربون لهذا الموضوع فتتبَّع الفكر الفرنساوي في مظاهره المختلفة في ذلك العصر وفي مشاهيرهِ وهذا ملخَّص تلك الدروس. فهو يعرض نتيجة ابحاثهِ دون ان يبدي فيها حكماً فيدع للقرَّاء ان يستخلصوا من مرويّاتهِ ما يرونهُ اقرب الى الصواب. ومن هذا يتَّضح ان الكتاب مع صحَّة معلوماتهِ كبقيَّة التآليف التي ينشرها «ارمان كولين» لا غنى لهُ عن دليل يرشد القارئ الى الحكم الصحيح ج. ل

Hubert (René). **Le principe d'autorité dans l'organisation démocratique**, *in*-16, 1926, *Paris, J. Gamber*

مبدأ السلطة في النظام الديموقراطي

انَّ المجلَّة السياسيَّة الفرنسويّة والاجنبيَّة التي ينشرها المسيو غمبر تُعنى ايضاً بنشر بعض التآليف السياسيَّة المختصَّة باحوال فرنسة ونظامها الدستوري. منها هذا الكتاب الذي يبحث فيهِ المؤلف عن التوفيق بين النظام الديموقراطي ومبدأ السلطة. فتراهُ

يخبط في ذلك خبط عشواء لعدم رجوعهِ الى مبادئ راهنة كان يمكن ان يجدها في التعليم المسيحي لولا تجرُّده من الدين. فانَّ الثورة الفرنسويَّة بوضعها اصل السلطة في الشعب فتحت باباً واسعاً لكل الفتن. والمؤلف قد احسَّ بهذه النتيجة ويسعى بسدّ الخلل بنسبتهِ للمجتمع البشري حقوقاً ليست للافراد إلّا انهُ لا يستطيع ان يحلَّ هذا المشكل الكبير حلّاً وافياً فيلتجئ الى السفسطة والتمويه في الكلام

Alexandre Belis: La critique française à la fin du XIX^e^ siècle, in-8°, 1926, *Paris, Gamber*.

الانتقاد الفرنساوي في اواخر القرن التاسع عشر

اربعة من الكتبة الفرنساويين قد اشتهروا في اواخر القرن التاسع عشر بفنّ الانتقاد اعني فرديناند برونتيار (F. Brunetiére) اميل فاغه (Em. Faguet) جول لوماتر (J. Lemaître) واناتول فرنس (A. France) لكنهم قد اختلفوا في طريقتهم الانتقاديَّة. فانتقاد برونتيار هو خصوصاً تعليميّ وانتقاد فاغه تحليليّ. وانتقاد الآخرَين احساسيّ. على انَّ هذا الفنَّ كثيراً يختلف مع اختلاف المنتقد بتهذيبهِ وعواطفهِ واميالهِ لكلّ منهم قاعدة يجري عليها في انتقادهِ مع مراعاة الاحوال وحسن الذوق. وهذا الفنّ لا يزال في الشرق ضعيفاً فيحتاج الى من يُحسن النظر في تعريف المنشورات الادبيَّة فيبيّن ما فيها من المحاسن والمساوئ بكل نزاهة دون مراعاة الوجوه وغرض شخصيّ

ج. ل

L'Empereur Julien: Œuvres complètes. I. 1: 2 Lettres et fragments, Texte revu et traduit par J. Bidez. *Paris «Les Belles Lettres»*, 1924, *in-16, XXIV-258 pp. doubles*.

مجموعة اعمال الامبراطور جوليان

المسيو بيده استاذ في جامعة غاند في بلجكة وهو احد العلماء البلجكيين الذي أُغري مع المسيو كومون (Cumont) بتآليف يوليانوس قيصر المعروف بالجاحد. وكان كلاهما نشر سنة ١٩٢٢ ما يحتويهِ المجموع الحاضر من الرسائل والمقاطيع. وليس هذا المجموع الجديد سوى طبعة ثانية لتلك الآثار وانَّما نصوصُها مصلَّحة وعُنيَ تصحيحها ترجمتها الى الافرنسيَّة مع مقدّمة عموميَّة وملحوظات عديدة مفيدة

جدًّا . وقد تبع المؤلف في ترتيبها سياق السنين فيدرس رسائل القيصر التي صنَّفها في غالية ثمَّ في ايليرية وفي القسطنطينيَّة ثمَّ في بلاد آسية الصغرى وانطاكية حتى مدينة منبج اعني الى قريب زمن محاربة يوليانوس للفرس وموته في تلك الحرب . انَّ الكتبة العصريين قد تهوَّسوا بذكر يوليانوس يبلغ مجموع تآليفهم عنهُ مكتبةً كبيرة . وغاية ما ينتج من كتاباتهم انَّهُ لا بُدَّ من تلطيف بعض احكام الكتبة النصارى في حقّهِ لكنَّهُ لايزال رجلًا ممقوتاً شبيهاً بالملحدين فولتير ورينان . ومن غريب اعماله انَّهُ اراد ان يقتدي بالمشروعات النصرانيَّة مع تديُّنهِ بالوثنية . وعندما يطرق الكتبة العصريُّون تآليفهُ الادبيَّة وغرامهُ بجمال الاديان القديمة وافكارهُ الحرَّة الشبيهة بافكار بعض الاحرار في عصرنا عندما كان يتهكَّم بالنصارى انَّما يبرح من ذهنهم انَّ هـذا الرجل شطَّ شططاً عظيماً اذ حاول تجديد الدين الوثني ذاك الامر البعيد من العقل والصحة . وقد استحسنَّا هذه الطبعة الجديدة والترجمة الفرنسويَّة التي راجعها المسيو كومون والمسيو برمانتيار . ولا شكَّ انَّ هذا الكتاب سيصيب نجاحاً في عالم الادب س . ر

Edmond Pottier: 1°) LE DESSIN CHEZ LES GRECS D'APRÈS LES VASES PEINTS. 46 pp. in -16, 16 pl. phototyp., «Les Belles Lettres», Paris, 1926. 2°) = L'ART HITTITE. 1er fasc., 100 pp., in-4°, 121 fig., Geuthner, 1926

الرسم عند اليونان على الآنية المنقوشة · الصناعة الحثيَّة

الكتاب الاوَّل طبعةٌ مجدَّدة محسَّنة لدرس سبق نشرهُ سنة ١٨٩٧ وهو من جملة مجموعة تُنشر تحت حماية شركة غليوم بودي (G. Budé) تحت عنوان « العالم اليوناني » . وهو في نهاية الحسن في جنسهِ وذلك لسببين الاوَّل لانَّ مؤلّفه اقدر من سواه على تصنيفهِ لما سبق لهُ من التآليف في معناه . والثاني لأنَّهُ يتضمَّن تحت حجم صغير مقالةً مستوفية مكتوبة بابلغ انشاء تستهوي قارئها بما تحتويهِ من صناعة الرسم عند قدماء فنَّاني اليونان . ومن المعلوم انَّ المسيو پوتيه هو من اعضاء مكتب فرنسة وناظر معهد الخزفيَّات القديمة في متحف اللوفر ويُعتبَر كاكبر اختصاصيٍّ في فرنسة في معرفة الآنية اليونانيَّة التي نشر لوائح مجاميعها على صورة بديعة . وهو اليوم يترأَّس اللجنة الموكول اليها مجموع الآنية (Corpus Vasorum) . وكل ذلك ممَّا لا نعهد لهُ

شيئاً في العربيّة . وهذا ما يدفعنا الى التوصية بهذا الكتاب لقرّائنا ونحن نتمنّى ان يقوم احد ادباء الشرق بتعريبه . والالواح التصويريّة غاية في الحسن

امّا الكتاب الثاني الذي في يدنا منهُ قسمهُ الاوّل فقد ظهر بتمامهِ في مجلّة (Syria) التي لا يجهلها قرّاؤنا الشرقيّون . والمؤلف قد فكّر بوضعهِ هذا التأليف في السوريين خصوصاً ليبيّن لهم انّ الصناعة الحثّيّة تنتظم اليوم في سلك بقيّة المراكز المتمدّنة كبابل ومصر واليونان الخ وانهُ يجوز للشرق السوري ان يفتخر بصناعتهِ القديمة . والكتاب جامع شامل لوصف كل الآثار الحثّيّة المعروفة من بوغاز كوي الى آثارهم في حمص وسنجيرلي وسقجه كوزي . وهي مصوّرة امّا بتصوير الريشة او نقلاً عن صور شمسيّة . ونتيجة هذه الابحاث انّ الصناعة الحثّيّة التي كان العلماء الى هذه الازمنة الاخيرة يعدّونها كصناعة متوسّطة بالصناعة الاشوريّة هي حقيقةً اقدم منها لا بل هي قد أثّرت في صناعة أشور ونالت منها الصناعة اليونانيّة قسماً صالحاً . ونحن ننتظر بفروغ الصبر بقيّة هذا الكتاب الجليل الذي يفتتح اوّلهُ بمختصر تاريخ الحثّيّين س . ر

THE HISTORY OF SAINT JOSEPH CHURCH, Olean, New-York

تاريخ كنيسة مار يوسف المارونيّة في مدينة اوليان من اعمال نيويرك (ص ٥٨)

انّ المنسيور فرنسيس شهالي قد تفانى في خدمة اهل ملّتهِ في الولايات المتّحدة سنين عديدة حتى اقرّ لهُ الخاصّ والعام بالفضل والفضيلة ولا غرو مع ما اتاه من الاعمال الشريفة في خدمة الدين والوطن . وممّا عُني بهِ مع حضرة شقيقهِ الخوري نعمة الله تشييد كنيسة جميلة في مدينة اوليان من اعمال نيويرك ففي الكتاب المعنون هنا تاريخ هذه الكنيسة القائمة على اسم القديس يوسف مع تفاصيل بنائها واسماء المحسنين لتشييدها وصور بعض اعيان ذاك الاقليم مباشرةً بصورة رئيس اساقفة بوفالو . فنشكر المنسيور فرنسيس شهالي ونتمنى لهُ مزيد النجاح في فلاحة كرم الربّ ل . ش

ANNUAIRE STATISTIQUE DE L'EGYPTE (1925-1926)

الاحصاء السنويّ العام القطر المصري (١٩٢٥—١٩٢٦)

طُبع بالمطبعة الاميريّة بالقاهرة سنة ١٩٢٧ (ص ٥٩٦)

هذه السنة الثامنة عشرة منذ اوّل صدور هذا السفر الجليل الذي يوقف الطالبين على

كلّ احوال مصر بتعريف اهلها من عدد وجنس ونموّ والجانب وادارات وتقليد وتجارة وزراعة ومقالات شتّى في داخل القطر وفي خارجهِ بالعربيّة والافرنسيّة. ومنهُ يؤخذ انّ سكّان القطر المصري في احصاء سنة ١٩١٧ بلغوا ١٢،٧٥١،٢٨٧ وقد بيّن احصاء السنة المنصرمة نموّهم الى عدد ١٤،٢٧٧،٠٠٠ فترى من هذا النظر الاجمالي ما يستفاد من هذا الكتاب الذي يحتاج اليهِ كل من يريد الاطلاع على امور مصر

Mille et un Contes, Récits et Légendes arabes par René Basset. Tome III. LÉGENDES RELIGIEUSES, *in-4*, *Paris*, *Maisonneuve*, 1927, *pp*. 629

الف رواية ورواية عربيّة منقولة الى الفرنسوية

هذا القسم الثالث من المجموع الضخم الذي خلّفهُ المستشرق المرحوم رينه باسّه ناظر الدروس العربيّة في بلاد الجزائر. فجمع من كتب العرب الف رواية ورواية نقلها الى الافرنسيّة لفائدة الاوربيين ليوقفهم على اخلاق الشرقيّين ويحبّب اليهم دروس العربيّة. وهذا القسم الثالث قد خصّهُ بالروايات الادبيّة والدينيّة البالغ عددها ٣٨٠ رواية مباشرًا بما يرويهِ العرب عن الانبياء القدماء ثمّ عن السيّد المسيح وعن الخضر والاسكندر ثمّ عن نبيّ الاسلام والخلفاء والصوفيين والاولياء الخ وقد احسن الجامع في ترجمتها وهو يرويها دون ان يبدي حكمهُ في صحّتها او بطلانها ومن ثمّ يجب على القرّاء ان يأخذوا حذرهم من خرافات كثير منها ل.ش

ISLAMICA, I ET II, F. Krenkow: 1°) The Grant of Land by Muhammad to Tamim ad-Dari — 2°) The Elegy upon al-Mughira ibn al-Muhallab

اقطاع محمّد لتميم الداري — رثاء المغيرة بن المهلّب

ذكرنا في عدد سابق هذه المجلّة الاسلاميّة الجديدة وبعض ما نُشر فيها من المقالات. وقد اهدانا صديقنا فرنسيس كرنكوف اثرين عربيّين نشرهما فيها آخرًا: الاوّل اقطاع مزعوم اعطاهُ محمد لتميم الداري يتناول حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابرهيم وما فيهنّ. فبيّن المستشرق كرنكوف انّ صكّ هذا الاقطاع مصنوع لا صحّة له انخدع بهِ كثيرون من القدماء. امّا الاثر الثاني فرثاء المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة السدي ينسبهُ البعض الى زياد الاعجم والبعض الى سلطان العبديّ فنشرهُ كرنكوف ونقلهُ الى الانكليزية واضاف اليهِ ملحوظات انتقادية مهمّة ل.ش

تاريخ الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة

تأليف الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني (المجلّد الثاني)

طُبع في مطبعة يوسف كوى بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٤٠٨ + ٦٣)

نهنّئ حضرة مؤلف هذا الكتاب على ما ناله من سموّ التفات قداسة الحبر الاعظم وبعض الكرادلة وغبطة السيّد الجليل بطريرك الطائفة المارونيّة وحضرة رئيسهِ العام الاباتي اناطيوس التنوري. وقد صرّحنا في ذكرنا المجلّد الاوّل ما يحتويهِ هذا التاريخ من درر الفوائد وغرر المعلومات عن الرهبانيّة اللبنانيّة منذ نشأتها الى السنة ١٧٤٤. وليس هذا القسم الثاني اقلّ فائدةً من شقيقهِ البكر وهو يبتدئ بذكر الخلاف المأسوف له الواقع بين اعضاء الرهبانيّة لاسباب شتى والذي انتهى بانقسام الرهبانيّة الى حلبيّة وبلديّة سنة ١٧٦٧ وما تبع ذلك الى السنة ١٧٧٠: فتجد تفاصيل مدقّقة لما جرى في تلك الحقبة، التي تتناول ربع قرن، بين الرهبانيّة والكرسي الرسولي وممثليه مع احوال الاديار المختلفة. وفي اثرها مباحث تاريخيّة مهمّة مضافة الى ما مرّ من جنسها في المجلّد السابق ممّا له علاقة بتاريخ الرهبانيّة من جملتها ترجمة المطران عبدالله قرألي مؤسّس الرهبانيّة لتلميذهِ الاب توما اللبودي التي نشرها في المشرق المرحوم الاب انطون رباط مع حواشٍ مفيدة. ثم يليها فهرس حسن لمضامين الكتاب على حروف المعجم. وفي آخرهِ ذيل في تاريخ الطائفة المارونيّة تابع لما سبق. وكنّا ابدينا فيهِ رأينا بعدم استحساننا للشروع في هذا التاريخ اذ لا علاقة له مع الرهبانيّة. وعلى كلّ حال انّ ما لدينا من المعلومات عن الاب الياتو تنفي صحّة ما نُسب اليه في حقّ الموارنة. امّا الدفتر الذي ذكرهُ الدويهي فمذكرة كتبها الياتو لافادتهِ الخاصّة نقلًا عن كتب شتى للموارنة وغيرهم لا يُبنى عليها حكم ل. ش

القديس فرنسيس كسفاريوس رسول الهند واليابان

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية. بيروت سنة ١٩٣٢ (ص٥٦)

ان شيوع شركة انتشار الايمان في سوريّة يستدعي معرفة ذاك الرسول العظيم القديس فرنسيس كسفاريوس الذي اعتنت به الكنيسة كشفيعها. وكانت المطبعة

الكاثوليكيّة نشرت سابقاً سيرة مطوَّلة لهذا القديس تحت عنوان «نفحة الزند في رسول الهند» وهذه سيرة مختصرة تصلح خصوصاً للمشتركين بهذه الشركة ثمّ لتلامذة المدارس دبّجها حضرة الاب انطون صالحاني بقلمه وضمّنها خلاصة اعمال ذلك الشفيع المشفّع على طريقة مفيدة ولذيذة. ويزين الترجمة غلاف بهيّ بنقوش ذهبيّة وفي وسطها ٢٩ صورة تمثّل القديس في اطوار حياته الرسوليّة. فلا ريب ان يتهافت اليها القرّاء اذا وقفوا عليها

عدد ممتاز من نشرة الاحد: في الكثلكة والماسونيّة

القسّ يوسف كوكي الكلداني

المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد ١٩٣٢ (ص ٧٨)

قد اعتادت الماسونيّة حيثما تنتشر توجيه سهامها الى الكثلكة لعلمها بأنها العدو الوحيد القائم بوجهها والكاسر لشوكتها. ففي بغداد وهي لا تبالي بدعن تشرت لعدم قيام الاكليروس الكاثوليكيّ بجنازة دينيّة لاحد الماسونيّين على حسب اوامر الكنيسة. فكتب الاحرار فصولاً عديدة في جرائد بغداد تقبيحاً لهذا العمل واذ اراد الكاثوليك ان يردّوا على تلك الجرائد ابى اصحابها نشر ردودهم إلّا نشرة الاحد لحضرة المنسنيور عبد الاحد جرجي التي خصّصت عدداً ممتازاً من اعدادها لتفنيد تلك الاراجيف بقلم حضرة الاب الفاضل القسّ يوسف كوكي الكلداني فما يسعنا إلّا تحبيذ فعله وتقبيح اكاذيب ابناء الارملة ل. ش

رسالة في محتويات دار الآثار العربيّة في مصر

لواضعها حسن محمّد الهواري

طُبع في مطبعة الاتحاد سنة ١٩٣٦ (ص ١٣٦)

في القاهرة دار اثريّة تُحفظ فيها الآثار العربيّة البالغة نحو سبعة آلاف قطعة مما يشهد للعرب بالتبرّع في الفنون الآلية والصناعات الجميلة وهي مودعة في ثماني عشرة قاعة. كفى بذلك دليلاً على عظم شأنها. فنشكر جناب حسن محمّد الهواري الأذون

في القانون والامين المساعد بدار الآثار العربيّة على وصفهِ لهذه الآثار في هذه الرسالة البديعة وفيها بيان افضل ما يوجد بينها من التُحف مع تصاوير بديعة تروق العين بمحاسنها. وان شاء الله ستتحفنا الجامعة العربيّة الدمشقيّة برسالة مثل هذه لوصف ما جمعهُ من الآثار العربيّة وغيرها

المرشد الامين الى حقيقة الدين

طُبع في نيويرك سنة ١٩٢٣ (ص ٨٥)

لم يذكر صاحب هذا الكتاب اسمهُ ولعلهُ احد الكهنة المهاجرين الى الولايات المتحدة وقعت بينهُ وبين احد أُدباء المسلمين مجادلة في امور الدين المسيحي والدين الاسلامي فأحبَّ ان ينشر في هذا الكتاب ما دار بينهما من الحديث بهذا الخصوص. فنحضّ محبّي الباحثات الدينيّة على مطالعة هذا الكتاب ليقفوا على فكريّة النصارى بخصوص دينهم والدين الاسلاميّ. ويا ليتهُ يزيل ما بين الفريقين من سوء التفاهم ليسيروا جميعاً في نور الحقّ. ل ش

كتاب المنذر الى المجمع العلمي العربيّ في دمشق

طبعة ثانية منقحة مزيدة المطبعة السلام بيروت

اعاد جناب الشيخ ابرهيم منذر النظر في كتابهِ الى المجمع العلمي فاخرجهُ منقحاً موسّعاً مع ما ورد في الصحف على انتقادهِ. وقد اثبتنا نحن ايضاً رأينا فيهِ واستحسنّا دفاعهُ عن فصيح اللغة وبليغها. دائماً تمنّينا قبل كل ان تقام جميعة ذات الحكم الفصل فتفتي بصحة هذه الملحوظات وتقنع الكتبة بمراعاتها وورودها. ونحن كذلك نرغب في سلامة اللغة من كلّ شائبة الّا اننا نرى شيئاً من التطرُّف في انتقادات بعض المنتقدين. وقد رددنا على شيخ اللغة نفسه المرحوم ابرهيم اليازجي في كثير مما كان عدَّهُ غلطاً في كتابهِ لغة الجرائد فاثبتنا صحتهُ عن ائمة اللغة. ومنهُ يتضح كم نحتاج الى علماء اعلام ليحكموا الحكم الفصل في الضعف، المردود وفي الصحيح الجائز مستندين في حكمهم الى ادلة قاطعة. ويسرُّنا في هذه المناسبة ان نُطلع القرَّاء على ترجمة

صاحب هذا الكتاب الاديب بقلم صديقهِ الفاضل جرجي افندي نقولا باز تذكاراً لانتخابهِ عضواً في المجمع العلمي العربي بارك الله في المترجِم والمترجَم

المنجد: معجم مدرسي للّغة العربيّة

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

طبعة خامسة منقّحة مكمّلة (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ (ص ١١١٩)

نُحيل القرّاء الكرام الى ما نُشر في ظهر غلاف المشرق عن هذه الطبعة الجديدة التي تختلف عن الطبعات السابقة بعدد صفحاتها ورسومها وضروب محاسنها فيتحقّقوا عظم الخدمة التي قدّمها صاحب الكتاب لكافّة المدارس لا بل لادبائها ولسائر الادباء ومحبّي اللغة العربيّة. جازاهُ الله الف خير ل. ش

يمين العليّ

تأليف الاب لويس جلابرت وتعريب الاب ل. شيخو اليسوعيّين

طبعة جديدة في المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٢٧ (ص ١٦٩)

لانعرف روايةً جمت كهذه بين الفكاهات التخيليّة والفوائد التاريخيّة والاثريّة والاجتماعيّة ظهرت اوّلًا تباعاً في المشرق ثمّ على حدتها مرّةً اولى وهذه طبعتها الثانية محسّنة بغلاف جميل يمثّل كهف الحمام في ساحل بيروت ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

← ارثوذكسي ام ماسوني. كاهن ام ماسوني. عارف حمص ودفاعهُ عن الماسونيّة → بقلم الاب الياس الدراوس الرولي بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان). هي الثلاث المقالات التي افحم بها حضرتهُ الاورثذكسي الماسونيّين في حمص وبطلهم الخوري عيسى اسعد. نشرت على حدة

١ لمحة تاريخيّة في دير سيدة المونات (اوالبنات) مركز رئاسة الرهبانيّة اللبنانيّة العامة لحضرة الاب بطرس ساره البتروني رئيس مدرسة الرهبانيّة في بيروت. طبع في المطبعة الكاثوليكيّة بيروت سنة ١٩٢٧ (ص ٣٢). هي المقالة النفيسة التي نشرها حضرتهُ في المشرق فطُبعت على حدة

٢ الماسونيّة بقلم احد العارفين. إنتقاد لاحد اصدقائهِ. المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٧ (ص ٨) مصدَّر بصورة الخوري عيسى اسعد الحمصي الاورثذكسي العارف المتمشّع والمدافع عن الماسونيّة. فيبيّن المنتقد جهل العارف وسوء تطاوله على الكنيسة الكاثوليكيّة وبدفاعه عن الشيعة الماسونيّة

شذرات

﴿ظهور السيد المسيح لوالدته بعد قيامته﴾ سُئلنا أيوجد سندٌ ثابت لهذا الظهور؟ (فنقول) انَّ الانجيل الطاهر لم يذكر سوى عشرة ظهورات تراءى بها السيد المسيح لتلاميذه. إلا انَّ سفر اعمال الرسل (١ :٣) يصرّح بانهُ «اراهم نفسهُ حيًّا بعد تألمهِ ببراهين كثيرة وتراءى لهم مدَّة اربعين يوماً» فما كان الربُّ لينسى أمهُ التي شاركتهُ في كلّ آلامهِ. والانجيل لم يذكر ظهورهُ لها تاركاً الامر لحسن ظنّ بتقوى المؤمنين وشهادة الكنيسة الحيّة في تقليدها. وهذا التقليد قد شاع في القرون الوسطى شرقاً وغرباً. ولعلّ اوّل من أتسع في ذكرهِ الكاتب اليوناني جرجس رئيس اساقفة نيكوميديا في خطبتهِ عن النساء اللواتي ذكرْن في آلام المسيح وقيامتهِ (اطلب مين مجموعة اباء اليونان (Migne, PP. GG., 1500) وبقرب كنيسة القبر المقدَّس معبد للرهبان الفرنسيسيين تقام فيهِ الرتب الدينيّة ويروى انهُ هناك ظهر يسوع لأمهِ بعد القيامة. وقد زار هذا المعبد سنة ١١٠٢ الزائر سوفولو. وقد ورد ايضاً تقليد ظهور المسيح لوالدتهِ بعد موتهِ في تواريخ الاسلام كالطبري (١ :٧٣٦) وكثيرين بعده

﴿تمثال الحبر الاعظم في المكتبة الامبروزيانيّة﴾ تولى قداسة البابا بيوس الحادي عشر نظارة مكتبة ميلانو الشهيرة عدَّة سنين قبل ان يترأس على مكتبة الفاتيكان فتألفت لجنة برئاسة خلفهِ المنسنيور يوحنا غلبياتي (M^{gr} Prof.G.Galbiati) واتفقت على اقامة تمثال من البرونز في قاعة المكتبة الكبرى. وقد تمّ ذلك بحفلة شائقة حضرها ارباب الدين وممثلو الدولة وعلية القوم في عشرين آذار الاخير. فنشكر اعضاء اللجنة الذين تلطفوا فدعونا الى هذه الحفلة التي أشير بها الى احد الادلة العديدة المثبتة عناية ارباب الكهنوت عموماً والاحبار الرومانيين خصوصاً بالكنوز الادبيّة

﴿احصاء حديث للكاثوليك في المعمور﴾ نقلت جريدة البشير عن الدليل الكاثوليكي لبلاد انكلترة: وتواليها المعروف بتدقيقه انَّ الكاثوليك في العالم حاضراً يبلغون على اقلّ تقدير ٣٣٠مليوناً وانَّ عددهم في كلّ عام يزيد نحواً من عشرة ملايين

﴿وفاة الاب اوجان ميتر﴾ فُجعت رسالتنا السوريّة بوفاة احد ابنائها العاملين الافاضل الاب اوجان ميتر. ولد في سويسرة سنة ١٨٥٦ ودخل الرهبانيّة اليسوعيّة

سنة ١٨٧١ فكان بين اخوته مثال الحكمة والرزانة وممارسة جميع الفضائل الرهبانية. قدم الى سورية سنة ١٨٨٩ وتخصص بعد وصوله بتهذيب الاولاد المرشحين للكهنوت في طوائفهم الشرقية فعرفوه ابًا حنونًا ومعلمًا فاضلًا ومرشدًا حصيفًا نهج لهم طريق القداسة وارشدهم الى كلّ عمل مبرور لخدمة طوائفهم الكريمة. فتخرج على يده اساقفة و كهنة علمانيون ورهبان و كلهم لسان واحد في اطراء فضله وشكر جميله. اثابه الله عداد حسناته

﴿مصاباب أليان﴾ في يوم الثلثاء الواقع في ١٥ من الشهر اذار الماضي أصيبت راهبات العائلة المقدسة المارونيّات بفقد رئيستهنّ الامّ اصطفاني التي قادها الله من وطنها الناصرة الى لبنان بعد اعتناقها الدين الكاثوليكيّ وترهبها مدّة بين راهبات الورديّة في القدس الشريف فانضمّت الى جماعة راهبات العائلة المقدسة وما لبثن ان أسند اليها تدبيرها كرئيسة عليها فقضت اربعين سنة في ادارتها وتنظيمها تحت نظارة غبطة مؤسسها السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويّك حتى بلغتها الى حالتها من الازدهار الحاضر عددًا وفضلًا فنطلب الى الله ان يعزي قلب صاحب الغبطة شيخ لبنان الاسيف ويلهم الصبر بناتها ويعطيهنّ ان يجرين على آثار رئيستهنّ المرحومة

وفي ٢٣ من الشهر نُعي الينا الرجل الفاضل عميد اسرته المرحوم اسكندر غالب فشق نعيه على كلّ من عرف شخصه الكريم وعاين ما اتّصف به من المزايا الفريدة وتجمّل بالفضائل المسيحية الاكيدة. فكان مثالًا حيًّا للعيشة الفاضلة في خدمة ربه وتربية اولاده وسائر معاملاته مع القريب. اجزل الله ثوابه في دار الخلود

﴿يوبيل بعض مشاهير الوطن﴾ في يوم عيد الفصح المجيد والجمعة التالية له سوف يحتفل بالتذكار الخمسيني لارتقاء سيادة الحبر العلامة الكلي الشرف المطران بولس عوّاد رئيس اساقفة قبرس الى درجة الكهنوت. وقد أعدت لذلك احتفالات بهجة يشترك فيها ابناء ابرشيته مع كلّ الذين عرفوا ما لسيادته من الفضل في خدمة الدين والآداب والوطن العزيز فنضمّ سلفًا صوتنا الى اصوات المهنئين طالبين من الله ان يجازي سيادته على اعماله الجليلة ويديمه لخير الكنيسة والوطن هنئه ويبارك مشروعاته

وقد اهتمّ ايضًا ادباء الوطن باكرام استاذين فاضلين الشيخ عبدالله البستاني والاستاذ جبر ضومط بمناسبة خمسين سنة قضياها بمزاولة تعليم العربيّة ونشر آدابها

فتخرّج عليها عدد لا يُحصى من الناشئة الوطنيّة . فيسرُّنا ان يقدّر الوطنيّون قدر مثلها ويطرئوا فضلها كالستاذين بارعين في مقدّمة حاملي الاقلام ويؤازروهما في ترويج مصنّفاتها ويدفعوا ارباب الدولة على مجازاتها بامتيازاتها الشرفيّة

﴿الاستاذ اميل تيّان﴾ سررنا للامتياز الذي ناله الاستاذ اميل افندي تيّان من قبل عمدة الدروس الحقوقيّة في ليون فانها بعد ان قلّدته رتبة الدكتوريّة بالحقوق مع الثناء الجميل على براعته عيّنته كعضو في مكتب الحقوق الفرنسي التابع لكليّتنا ليتولى فيه القاء المحاضرات الحقوقيّة فنهنّئ جنابهُ ونتمنّى له مزيد الرقي

﴿معرض لويس الرابع عشر﴾ افتتح وزير المعارف في باريس هذا المعرض في اوائل آذار ومنهُ يظهر ما بلغتهُ فرنسة من الرقي في عهد ملكها الكبير لويس الرابع عشر . فقد عُرضت هناك مجموعات نادرة جدًّا من المخطوطات والمطبوعات الجميلة ذات الالوان الزاهية والتصاوير البديعة وكذلك هناك عدد وافر من ضروب الرسم والتجليد الذي فاق بهِ الفرنسويون على سائر الدول . ثمَّ عُرضت اصناف النقوش والمحفورات التي تفنّن فيه اهل ذلك العهد

﴿لفافات التبغ في الولايات المتّحدة﴾ اشاعت الولايات المتحدة لائحة ضمّنتها ما يُصطنع في بلادها من لفافات التبغ (cigarettes) فان عددها سنة ١٨٦٩ كان بالغاً ١،٧٥١،١٩٠ لفافة وهوذا اليوم اصبح عددها لسنة ١٩٢٦ خمسة وسبعين مليارًا هذا فضلًا عن سبعة مليارات من جنس السيجار (cigares) وقد ربحت الدولة من الضرائب على اللفافات خمسة مليارات من الفرنكات . فيا لله كم يصرف الانسان من مالهِ على ما يمجّهُ فمهُ من الدخان !

﴿ذَنَب الحرب﴾ فرنسة تدفع معاش الذين قُطعت او فسدت اعضاؤهم في الحرب . فكان عدد الباقي منهم في غرّة السنة ١٩٢٧ نحو ٧٠٠،٠٠٠ منهم مبتورو الجوارح ٤٠٤،٦٠٦ المصابون بربّتهم ٢٣٥،٨٨٤ المصابون بعيونهم ٢٧،٢٨١ بينهم عميان ٢،٥٨٠ المصلومون بآذانهم ١٧،٧٣٠ منهم الصُمّ ٤،٣٣٨ المجدوعون بأنوفهم او وجوههم ٨،٥٨٨ الممسوسون بعقلهم ١١،٥٠٢ . ومن هذه اللائحة يظهر بنوع محسوس اذى الحرب . وذلك ما عدا الذين ماتوا منذ نهاية الحرب الى اليوم مع ضربنا صفحاً عن المصابين بسلّ او ضعف او مرض

أسئلة وأجوبة

س وقف جناب المهندس الزراعي وصفي افندي زكريا مفتش املاك الدولة في دمشق على ابنية قديمة منها في شمالي شرقيّ سوريّة في اقصى السمران من قضاء الحمراء التابع للواء حماة قصر يدعى بقصر ابن وردان وفي شماليّ شرقي هذا القصر في وسط البادية على ٨٠ كيلومترًا من حماة خرائب مدينة الاندرين فسأل أهذه الآثار معروفة اذ لم يقف لها على ذكر في كتب العرب وغيرها

قصر ابن وردان – خرائب اندرين

ج هذه الآثار كلها معروفة منذ زمن مديد. واوّل من وصف قصر ابن وردان الاستاذ موردتمان (Mordtmann) في المجلّة الاثريّة الكتابية الالمانية المطبوعة في التمسة سنة ١٨٨١. ثم عاد بعدهُ غيرهُ من السيّاح كاوستروپ وهرتمان وفون اوبنهيم وستريغوفسكي فوصفوهُ ونشروا صورهُ. على ان هذا الوصف قد جاء واسعاً مستوفياً مع رسوم ونقوش وتصاوير بديعة في منشورات البعثة الاميركانية في جامعة پرنستون بالانكليزيّة في القسم الثاني المطبوع في لندن في هولندة سنة ١٩٢٠ ص ٢٥–٤٥ ومنهُ يتّضح ان قصر ابن وردان يتألّف من ثلثة ابنية جميلة كنيسة ثم قصر ثم مقام عسكريّ. وهي من الابنية البوزنطيّة يؤخذ من الكتابة اليونانيّة المنقوشة على احد ابوابها أنها بُنيت سنة ٥٦٤م في عهد الامبراطور يوستنيان. والمرجّح ان بانيها المهندس ايزيدوروس — وكذلك اخربة اندرين راقية الى ذلك العهد وانّما سبقت قصر ابن وردان فبُنيت سنة ٥٥٨م وهي موصوفة في الكتاب المذكور (ص ٤٧–٦٣)

س وسأل حضرة الخوري يوسف المشبّق ما قولنا في التقرير الذي وجههُ بيلاطوس الى القيصر طيباريوس عن السيد المسيح بعد حكمهِ عليهِ بالموت وقيامته

تقرير بيلاطوس عن السيد المسيح

ج من المحتمل انّ بيلاطوس ارسل الى القيصر طيباريوس تقريرًا عن حكمهِ على السيّد المسيح. ولعلّ هذا التقرير هو الذي اشار اليهِ بعض الآباء القدماء كيوستينوس وترتليانوس في دفاعهما عن النصرانيّة وكابيفانيوس في كتابهِ عن البدع إلّا انّ هذا التقرير لم يُعرَف منهُ شيء. (المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٣٢٩–٣٣١) وانّما وضع بعض المدلّسين بدلًا منهُ تقريرًا مصنوعاً انتشر في القرن الرابع او الخامس لا صحّة لهُ البتّة وينفيهِ المنتقدون كما نفينا رسالة لنتولوس المرسلة الى طيباريوس (المشرق ٩: ١٣٩)